عيد الأمير شمخي

# نساء بلا ملامح

## مسرحيات

**الكتاب : نساء بلا ملامح (مسرحيات)**

**الكاتب: عبد الأمير شمخي**

**الطبعة: ٢٠١٦**

**الناشر: وكالة الصحافة العربية ( ناشرون)**

**٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكو ر- الهرم – الجيزة**
**جمهورية مصر العربية**
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ ــ ٣٥٨٦٧٥٧٦ ــ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

**http://www.apatop.com E-mail: news@apatop.com**

**All rights reserved**. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

**جميع الحقوق محفوظة :** لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أوتخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

**دار الكتب المصرية**

**فهرسة إثناء النشر**

**شمخي ، عبد الأمير**

**نساء بلا ملامح / عبد الأمير شمخي**

**– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.**

**.. ص ، .. سم .**

**الترقيم الدولي: ٣ – ٤٤– ٥٧٧٢ – ٩٧٧**

**أ – العنوان رقم الإيداع : ١١١٦٠**

# نساء بلا ملامح

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

# البحث عن عنوان.. يا لها من محنة

اخترت عنوان الكتاب هذا من أحد النصوص دون قصد، بعد أن بحثت كثيرا عن اسم يجمع النصوص الأربعة، والكلمات التي فيها والأحرف كله، فانتابني الحزن:

بعد أن فشلت في إلجام خيول البراري
وإيقاف نشيج البساتين.
وإيقاظ الخرائب من سباتها
وإعادة زمن القوافل،
وميلاد السلالات بولادات قيصيرية
وبعد أن فشلت بالتلحف بالعراء وآخيت بين جراحي والهزائم.
فشلت في إعادة زيت قناديل الروح إذ سرقته الشياطين.
وأرضعت من دمي جماجم تمددت في (كاروك) الطفولة، لكنها ما نهضت، يا لخيبة المسعى.
لقد افترس الكابوس النهارت كلها.
وامتلأت حجرات دماغي بذكريات لم أعشها، ووجوه لم أرها

ونبت في صدري رجل آخر، أخذ يكبر بنزاهة، في حين كنت واقفا أمام قوسين فارغين، علني أجد عنوانا يجمع شمل الكلمات بالحلال عسى أن تنجب أبناء شرعيين، لكن الياء هربت كقطاة، والدال طارة بنصف جناح وقررت عبور الحروب كلها لتقف أمام أول جريمة قتل وتصرخ..

فمن سمى الأرض باسمها؟!

ومن اختصر المطلق بتلك الحروف الأربعة؟!

يا إلهي... أنقذني

علّ كلمات النص، الذي صار الكتاب –كله يحمل اسمها، لا تتجبر فترى نفسها من ضوء وكلمات النصوص الأخرى من حجر.

عبد الأمير شمخي

# مقدمة:

بقلم: عبد الستار ناصر

**يعمل بصمت، ويبدع مسرحياته وقصصه بهدوء، لا شيء له بوجاهة الشهرة أو بريق المجد أو أناقة وحضور المهرجانات.. أول سعاداته أن يكتب، وثانيها أن ينام قرير العين والروح إذا ما أحس بجدوى ما كتب، وحالما يصحو في اليوم التالي، سيقرأ ويمرح مع أولاده ويشاهد التليفزيون– طبعا – ويسرح بين المجلات والصحف العربية، يعيش حياته بتواضع وبساطة من أجل أن يبدع شيئا آخر أفضل.**

**وبرغم الصمت والهدوء الذي يلف أيامه ولياليه، وبرغم ابتعاده عن إغراءات الشهرة ومطاردات المجد والخلود، نرى أن مسرحياته تفوز بأحسن الجوائز ويشار إليها في بغداد وتونس وعمان وسوف تفوز غدا – دون ريب – في بيروت والقاهرة والمغرب.. فهو يكتب المسرحية، وأحيانا يكون هو**

نفسه مخرجها.. هو المشاهد والناقد الأول لجملة أعماله قبل أن يراها أو يقرؤها الجمهور.

في مسرحية (الهشيم) يقول المؤلف وهو يسخر من رجال القمع وبيادق القتل:

– يا أمي، رأيت طائرا أعرج، ركض الأغبياء ليمسكوا به، لكنه طار، لقد نسوا أنه يستطيع الطيران

ثم يكمل عبارته فورا:

– أنا ذلك الطائر.

وإذا تهيأ للقارء العربي، حمل الصور والكلمات إلى ميزان النقد، لرأينا كفة المعاني ذات القصد الفلسفي المبين، هي التي تغلب كفة الصور العفوية التي تجيء أحيانا لربط الحال بحال أعنف، أو تأتي لربط الفعل بفعل أشد وهجا.. ليس من صراط بين ما يريد وما لا يريد، إنه صارم حتى مع نفسه، فكيف لا يكون هكذا مع المسرح وهو أكثر الفنون قدسية وخطورة؟!

من أبرز مكونات عمله في الكتابة، هو جمع الفكرة بين يديه وتكثيف الفعل المسرحي حتى ليبدوا أنه يمسك به.. والذي يشاهد أعماله على المسرح سيرى أن حقائق الفعل المسرحي لدى (عبد الأمير شمخى) إنما تبدأ بعد نضوج المحنة وقبل النهاية بشوط قصير.. أو بمعنى آخر، يحاول المؤلف السيطرة على الوقت المحصور بعد نشوب الكارثة وبين القرار الحفي (أن لا مفك منها).

عبد الأمير شمخي، هو الذي عثر بين الأنقاض على مذياع عتيق ميت، عندما حركه بقدمه، عاد المذياع لينشد أغاني الموت.. وفي مسرحية "القلعة" اختصر الكاتب قلاع الذبح جميعها وكذلك المعتقلات العربية وسراديب التعذيب واقبية الغرف الانفرادية وأحواض السيانيد، وتركنا أمام اثنين – فقط – من أبطال مسرحيته هما "الأول" و"الآخر"، لكنه كما نرى لم يكتب "الثانى" لسبب واضح مهم ومباشر في شرح المعنى، سيعرفه القارئ من أول السطور.

نساء بلا ملامح، القلعة، الحاجز، والهشيم، مسرحيات للنخبة، فهي تعتمد الرمزية والقناع وتبادل الأمكنة والأدوار معا، وتعتمد في الوقت نفسه على ذكاء "هو " القادم من أجل أن يرى مسرحا يتقدم به خطوة نحو فضاء المستقبل (الغامض، العجيب) دون ن يجرجره أو سيحبه العادي والممكن والمألوف.

وإذا كان (ديكارت) يقول: "إن قراءة الكتب والمسرحيات الجيدة هي كن يناقش الصفوة الممتازة من عباقرة القرون الماضية"، يكون علينا أن نفكر الآن وقبل فوات الأوان، كيف ندخل بهذا المسرح نحو البيوت وصوب العقول، وبخاصة أبناء هذا الجيل، لئلا يمرق الخراب والسواد إلى بيت الإبداع الأبيض.. وندري طبعا بأنها محض أمنية عسيرة المنال.

وهل ثمة من شيء كبير لم يبدأ بأمنية؟

مرة ثانية أعود للمؤلف، الكاتب الفنان "عيد الأمير شمخي" وأقول إن مسرحياته ستنال الرضى – وهي منشورة في كتاب – كما استحقت الفوز وهي على خشبة المسرح.. وهذا يعني، كما أظن، تفسير إعجابي وتحياتي له، وبالتالي حتما، تحياتي لمن سيقرأ هذا الكتاب السمين.

ودعونا – قبل رفع الستارة – نتذكر ما قاله "جان كوكتو": – إن المبدع الكبير يشبه الحيوان البري، كلما طارده الصيادون كتب أفضل..

# نساء بلا ملامح

**(ليل الموجوع عباءة من حديد)**

**عبد الأمير شمخي**

**(يا أمى**
**حين أدرك أنك تفكرين بقتلي وأنا لم أزل في رحم الظلام أعرف**
**مقدار الألم الذي تعانين**
**وكمية الهزيمة التي تعيشين فيها)**

**من المسرحية**

**المكان**

**بقايا مركز حدودي كان قد استخدم عسكريا ثم ترك منذ مدة ليست قصيرة**

**الشخصيات**

**المـــــــومس في الخامسة والثلاثين من عمرها..**

**السيد في الأربعين من العمر**

**الفتاة عمرهـا خمـس وعـشرون.. إلا أن تجربـة الـسجن تركـت ملامحها على جسدها وفي روحها**

**هو**

## اللوحة الأولى

**من ثقوب في الجدار يضاء المكان، نسمع صراخ النسوة وهن يتراكضن بين الزوايا وفي العمق.. يدخل (هو) يبدو عليه الغضب يدور ثم يقف في وسك المكان صامتا حتى تتلاشى أصواتهن ويسود الصمت يخرجن من الزوايا ويقفن أمامه وقد بان عليهن الهلع.. ينتظرن ما يصدر عنه.**

**هـــــو: لو سمع أصواتكن مرة أخرى. قمت بجلدكن بعد أن أنسى. متعمدا أنكن نسوة.**

**الفتـــــاة (تتقدم نحوه): حتى أنا؟**

**هـــــو: أنت بالذات سأجلدك حتى ترتدي.. بل سأجلدك أكثر.**

**المومس: ولم تؤذيها أكثر؟**

**هـــــو: اخرسي أنت وابتعدي عن طريقي.**

**الـــسيدة: (تقف بعيدا) لما لا نخرج ولو قليلا؟ دعنا نتفس.**

هـــــو: لستن سجينات.. بل أنت ميتات.. وتعرفين لم قمنا بعزلكن في هذا المكان (يقترب منها فتنكمش).. يوم تلدن تكون نهايتكن قد أزفت. هذا ما تحتجن له. وهناك النافذة (يشير إلى النافذ)

المـومس: (تقاطعه) ملغاة. (تضحك)

هـــــو: تعرفين لم ألغيت؟ (يقترب منها فلا تبالى) السبب أنت.

المــومس (تضحك من جديد): لأني كنت أصرخ؟ (لا يجيب) لكم تمنيت أن يسمعني أحد.. ولكن لا فائدة.

هـــــو: (يواصل غير مكترث لما تقول): وبما أنني غير مخول إنسانيا بضربكن ولا تنفيذ الحكم عليكن حتى تلدن. فأنا أجد نفسي مضطرا لاتخاذ بعض التدابير، وحتى تحين ساعة الولادة التزمن الصمت وإلا

المـومس: (صمت) فبعد أن تلدن وينتهي الأمر، ينفذ بكن حكم الإعدام.

(النسوة يصرخن معا)

(ظلام قصير)

## اللوحة الثانية

(يضاء المسرح .. المكان نفسه .. المومس والفتاة تتحركان بقلق السيدة في الزاوية تتأمل)

المـــومس حظ سيئ .. حظ سيئ

الفتـــــاة لولا الجنين الذي في بطنك لكان الدود قد غزا هذه البشرة، لقد أعطانا فرصة أخرى.

المـــومس (للفتاة) الدود ينتظرنا .. وينتظرك أيتها الجملية { يدخل (هو) حاملا بعض الحاجيات يرمى بها في الزاوية وينظر إليهن مبتسما ويقترب من المومس }

المـــومس ماذا تريد؟

هـــــــو (يقترب أكثر)

المـــومس ماذا يريد؟

هـــــــو ألا تعرفين ؟ (يقترب أكثر إلا أنها لا تتحرك) ألا ترفضين ؟

المـــومس وهل ترفض الميتة ؟ .. أنا ميتة.

هـــــــو (مشمئزا) لا تشعريني بالقرف فلست بعيدا عنه( ينظر إلى

السيدة التي تسبح) ماذا تفعل ؟

المـــومس تصلي كعادتها.

هـــــــو اذكرينا عند ربك (يستدير ويخرج)

الـــسيدة (بعد أن كانت تسبح ،) الشيطان يهرب من جيش الملائكة الذي يحيط بي ومن نورهم وسخرهم.

المـــومس أين هم ؟

الـــسيدة من ؟

المـــومس الملائكة.

الـــسيدة لا تشعرين بهم ؟ لا يمكن ذلك فما أنت الا عمياء ، كهذا الذي خرج توا.

المـــومس بل أنا مثلك .. كلانا تنتظر نفس النهاية.

الـــسيدة أيلتقي النور بظلام الروح؟

المسك بتلك الرائحة النتنة للزربية التي عشت بها مع ديدان رغباتك ؟ بعد أن اندفعت وطغت ؟

المـــومس رائحتي أجمل من رائحتك

الـــسيدة أنت ترين الجسد .. وأنا أرى الروح

المـــومس من أنت ؟

الـــسيدة كا ترين امرأة تنتظر خلاصها من عالمكم

المـــومس خلاص ؟ (تضحك)

السيدة نعم خلاصي من هذا الوحل والطين والغفن إلى الهواء المطلق.

الفتاة لا تصدقي أكاذيب تختلقينها.

السيدة أنت الأخرى عمياء (تشير إلى المومس) مثلها.

الفتاة أنا لست هي.. ولا أقل منك خلقا ولا أدبا.. أنا.. هن. لأنني كنت أحلم بـ... عالم.. أفضل.. أفضل.

السيدة أنت تحملين الرجس.

الفتاة من في أحشائي ابني.. نعم ابني.

السيدة لكنك لم تتزوجي من قبل.. أم أنك نسيت ذلك؟

الفتاة دخلت عذراء، ولكنهم.. هم .. هم.

السيدة ها أنت تعترفين أنك تحملين الرجس.

الفتاة (تتكلم بصعوبة) و.. رغم ذلك.. أنان أحب الجنين الذي ينمو في أحشائي مثلما تحبين الجنين في أحشائك، وأكاد، أكاد أسمعه يصرخ، يا أمي، حين أدرك أنك تفكرين بقتلي وأنا لم أزل في رحم الظلام، أتحسس مقدار الألم الذي تعانين وكمية الهزيمة التي تعيشين فيها (تقترب المومس من الفتاة).

المومس أحقا تسمعينه؟

الفتاة ن..ن. "بصعوبة" نعم.

المومس أنا لا أسمعه.. ولا أريد أن أفكر فيه.

الفتاة للمومس لأنك لا تفكرين إلا بنفسك.. أنت بضاعة مزوقة

(للسيدة) وأنت؟

السيدة أنا أعرف من أبوه

المومس (تسرع إليها) من؟ تكلمى.. من هو الأب؟

السيدة قتل. (صمت)

المومس (ضاحكة) إذن لم يعد له أب، وهكذا فنحن الثلاثة نشترك أن أبناءنا ليس لهم آباء. (تواصل ضحكتها) أنتن مثل.

الفتاة كنت أحلم بالفضيلة ووجدت نفسي في السجن، ومرة بعد أخرى اعتقلت.. ثم.. ذ.. ذ (تقول الكلمة بصعوبة) ذبحت.. ومرت وجوهم عليّ تباعا، آمر السجن، والضابط والمساعد.. ثم أقل منه والشرطي صاحب الشارب.. الط.. الطويل.. ورجل أمن بلا.. بلا شارب.. وآخر.. وآخر.. وآخر، كان آخ.. آخرهم.. أسود ضخم مجنون (صمت) أنا مدرسة الفلسفة، ومعي شهادة الماجستير، وهو أسود وسخ مجنون.

السيدة الخطيئة .. الخطيئة.

الفتاة سيبقى وحيدا طفلى.. سيبقى وحيدا، وليس مهما من سيكون الأب مجنونا أو سكيرا أو أي شيء، فلابد أنه سيموت يوما.. ويبقى ابني وحيدا أمام الحياة، إننا لو تعلمين جيدا نلد الشعوب، والشعوب ليس لها أب.

السيدة نحن جميعا أبناء الرحمة.

الفتـــــاة الله يعرف أنني لم أكن أريد هذا الجنين.. لكن.. لكن الآن... من في أحشائي هو ابني وأعطاني فرصة للحياة.

الـــسيدة كان عليك أن ترفضيها وتنتقلي بسلام إلى العالم الآخر.

الفتـــــاة ما هو.. ال.. العالم الآخر؟ أت.. أتعرفينه؟ (صمت) أنا.. أنا لا أعرفه.. أنا لم أسافر إلى بلد آخر.. فكيف تعتقدين أنني أفهم وجود العالم الآخر.. لقد ولدنا في السجن.. الطيور تسافر.. تهاجر ثم تعود ونحن. نحن نحيا بانتظارها، كالأطفال ن.. نفرح حين تعود.. لكننا.. نخجل من إظهار فرحنن، فالأوسار الكثيرة، جعلتنا أكثر رغبة في الطيران، إنها الروح هي التي تهرب من السجن ولا.. ولا تعرف إلى أين؟

المـــومس هذا ما كان يردد الرجل الذي أحببته ذات يوم.

الفتـــــاة وأبي أيضا كان يقول.. قضيت طفولتي.. مطاردا.. وشبابي مطاردا.. ورجولتي مطاردا.. إن.. إن هنالك شرطيا يركض خلفي.. د.. دؤوب.. كالنمل يزحف.. فاتحا فمه ليبتلعني.. وكانت الأسوار تحيط به.. المسكين أبي حتى جن "تصرخ" أيها الهواء، خذني فأنا أستحق ال.. ال، الطيران لكن الهواء كان ساكنا.. فحين تكون مدمرا.. مدمرا، يكون الهواء كالطين.. والطين دم.. وال.. دم.. لا أهمية له بعد أن تتحول إلى رقم.. فأنا الرقم.. (ألف ومائة وثلاث عشر).

المـــومس (تضحك): وأنا الرقم (السابع والعشرون).

(تشير للسيدة) وهي (الثامن والعشرون)

الفتـــــاة (تواجهها): هل سننتقل إلى العالم الآخر ونحن أرقام؟ كيف تريدين مني أن أؤمن بالعالم الآخر، وأنا لم أعش.. ولم.. ولم

المـــومس كان لدي أخ صغير.. ذهب إلى رجل متعبد.. جارن.. وقاله أريد أن أتبعك أينما ذهبت. فطرده الرجل.. لكنه ذهب إليه مرة ثانية.. وطرده أيضا.. وثالثة.. فقال جارنا لأخي اذهب وعش وتمتع وتذوق طعم الحياة ثم اترك ما أحببت، وتعال إليّ وأنت تحمل الاثنين.. الحياة وإيمانك.. ثم اتبع ما تريد إلى من تحب. وسأكون أنا من يتبعك.. وستكون نزهتي في شقائي، فذهب أخي.. وهو يحلم بذلك اليوم.. لكنه لم يعد للرجل.

الـــسيدة لماذا؟

المـــومس لأنه قتل في زمن الفتنة.. "تضحك ثم تستدير إلى السيدة "أنا مثلها لا أؤمن.. مثلها، لكني أعرف من هو الأب. أعرف أباه "تشير للجنين"

الـــسيدة من هو؟

المـــومس رجل بقيت معه فترة قصيرة. كان كلانا يخاف من الشرطة.. هو يخاف من كل أنواع الشرطة، وأنا أخاف من شرطة الآداب. كان هو مطاردا.. فخبأته في منزلي.. وعشت لأجله لكنه

هرب، فقد كان مطاردا

الفتـــــاة ما اسمه؟

المـــومس لماذا؟

الفتـــــاة ربما عرفته.. فأصدقاء أبي كلهم مطاردون.. ما اسمه؟

المـــومس "بهدوء": في الأسبوع الأول كان له اسم، وفي الأسبوع الثاني فوجئت باسمن آخر، ثم توالت الأسماء.. حتى عرفته بسبعة أسماء

الـــسيدة وكلها طبعا مزيفة.

المـــومس نعم.. إلا أنه هو.. لم يكن مزيفا.

الـــسيدة وما أدراك؟

المـــومس أنا أعرف الرجال أكثر منك.. أعرفهم كلهم.. ولا تستطيعين مجادلتي في هذا الأمر.

الـــسيدة هل عرف عنك وعن كونك فتاة.

المـــومس "تكمل لها الجملة: فتاة شارع.. نعم أخبرته كل شيء.. بل إننا التقينا في الشارع وكنت سكرى، وكان مطاردا "تضحك" أخذني وانزوي بي في الحديقة العامة.. لم يمد يده ليمسك بيدي، ولم ينظر إلي، بل كان يتطلع حوله، اعتقدت أنه خجول.. فاقترحت على أن آخذه معي إلى المنزل.. وافق وسرنا معا بصمت إلى المنزل.. انتظرى.. لقد قبلني فجأة

ونحن في الطريق.. فلم أفهم لم فعل ذلك. (تضحك) لقد كان أمامنا شرطي وقد كان يريد أن يخبئ وجهه منه، فقبلني

السيدة (تضحك) يالي من غبية

المومس وبقي عندك؟

السيدة لم يكن لديه خيار آخر.

المومس إذن.. فقد كان مرغما واقتنصته.

بالعكس.. لقد ظل يبكي على صدري دون سبب، يبكي كما لو أنه فقد أحبته، بل يجهش في البكاء على صدري وهو يردد لقد خسرنا التجربة.. خسرنا التجربة.. ورغم أنني لم أفهم إلا أنني كنت أواسيه وأبكي معه.. أبكي أكثر منه. وهكذا نبكي

السيدة معا.. وهو يردد.. لقد خسرنا التجربة.

المومس هجرك بعدها واختفى.

كسروا باب البيت واصطحبوني معهم، بعد أن كان هو قد

السيدة هرب، أرادوا مني أي شيء يدلهم عليه.. فلم أخبرهم.

المومس لم تخبريهم.. أم تراك لا تعرفين حتى اسمه؟

السيدة لم أخبرهم.

المومس أنت تكذبين.

وأنت تقفين بوجه مشاعري كالمسمار. ثم أنني كنت أعرف عنه

الفتاة كل شيء "تهرب الفتاة".

المـــومس ماذا عرفت عنه؟

لقد كان.. (تفكر) كان رجلا لا يشبه الرجال الذين عرفتهم، ولا

الفتـــــاة أظن أن هنالك اسما يكفي لاحتواء تلك القدرة التي في داخله.

المـــومس هو ال. ال.. الحب.

عرفت الكثير من الرجال.. لكنه مختلف تماما.. (تتحسر) كان يمكن أن أفي لأي منهم.. إلا أنهم كانوا يتركونني ويرحلون دون أن يتركوا لي أثرا طيبا.. أما هو.. فلا (تتحسس جنينها ثم فجأة

الـــسيدة تنفجر ضاحكة) لقد كانوا أبنائي الفاجرين.

(تبتعد) اللعنة على الشيطان.. اللعنة على الشيطان وعلى من

المـــومس يمثله في الأرض.. وعلى من سار على خطاه.

الـــسيدة آمين.

المـــومس (للمومس) أنا ألعنك فلم تقولين آمين؟!

الـــسيدة أنا مسكينة مثلك تماما.. ادعي ربك كي يحكم هذا السجن.

المـــومس الآلام تجربة قاسية، لا تتحملها إلا النفوس المطمئنة.

أتعرفين منذ أشهر وأنا أتساءل من أنت؟ وابن من هذا الجنين؟

الـــسيدة ولم أنت هنا؟

المـــومس (تبتعد)

الـــسيدة هربت كالعادة

لو حملنا آلمنا إلى الله.. لخرجنا من بين يديه أنقياء كما لو أننا

نولد من جديد.

الفتـــــاة [أصوات أقدام]

المـــومس أصوات أقدام

الفتـــــاة لابد أنه الكلب

المـــومس لنهرب.. لنهرب

الفتـــــاة كيف؟ (تدور الفتاة وحين تشعر بالعجز ثم تعود إلى مكانها)

المـــومس (بعد تفكير طويل) نحن... بحاجة إلى .. معجزة للفقراء

الـــسيدة (ترفع يديها إلى السماء)

(تقاطعها): لا أعتقد أنه يسمعك... فبينك وبينه نهر رجس ماؤه

المـــومس راكد سن هو أنت.

(تواصـل الـدعاء) افـتح صـدرك لـى.. أنـا أتمنـى أن .. أتمنـى

الفتـــــاة (تستدير للاثنتين) ماذا تريدان أن أتمنى؟

المـــومس أن نخرج أحياء

الـــسيدة نحن أم أطفالنا؟.. "صمت" لا أعتقد أننا نعرفهم.

المـــومس (تنظر لبطنها) أنا أعرفه.

الفتـــــاة (لجنينها) وأنا أحبه.

المـــومس وأنا أخاف منه.. لنهرب.

(للفتـــاة) (للسيدة) قطعت دعائى.. لكنني رغما عنك أكملته بقلبى

الفتـــــاة أتعتقدين أننا في مكان بعيد؟.. باعتبارك متعلمة.

السيدة لقد قطعوا حين قاموا بجلبنا.. مسافة يومين.

الفتاة نهاران؟

المومس بل ليلتان.. ليلتان فقط.. فالشرطة تنقل ضحايهم.. ليلا.. ففي الليل يتبادلون الهدايا بين سجين وآخر.. وتذبل.

الفتاة أهنالك من يمكنه مساعدتنا؟

المومس لا أحد.. وعلينا أن نهرب.. فلسنا مجرمات.. ولم. لم نفعل شيئا.

الفتاة كان عليك أن تطلبي العون ممن عاشروك في البداية.. فأولهم مدير السجن صاحب السلطة في هذه الأماكن..

المومس كنت.. كنت.. أبكي.. وأطلب منه المساعدة.

الفتاة البكاء يزيد كبرياءه ويزيد نشوته.. كان عليك أن تساوميه يا غبية.. آه لو كنت مكانك لعرفت كيف أروضه وأجعله كبقية الخراف التي مرت بحياتي (تصرخ فجأة وهي تمسك ببطنها)

المومس (خائفة): ماذا بك؟ ماذا هناك؟ تكلمى.

السيدة (بفرح): ابنتي ترفسنى.

المومس (تركض إليها بفرح): أين؟ .. أين؟

السيدة هنا.

المومس دعينا نسمع.. دعيني "تنحني ثم تصرخ" آه.

السيدة ماذا؟

المـــومس أنا أيضا تحرك ابني "تدوران بفرح كما لو أنهما طفلتان".

الـــــسيدة هذه رسالة. الحركة منهم تعني رسالة.

المـــومس حركة مباركة.. حركة مباركة.

ابنتي تلعب.. فهي أكبر من ابنك عمرا.. دعيني أسمع. (تصغى

الـــــسيدة إلى بطن المرأة) آه. لقد سمعت دقات قلبه، ثم تحرك.

المـــومس تحرك منزعجا؟

الـــــسيدة لا.. كان يرحب بى.

الملاك لا يضمر سوءا لأحد "بفرح" آه لقد تحرك من جديد يا

المـــومس إلهى.

الـــــسيدة ماذا فعل؟ كيف شعرت بذلك؟

أيهـا المحـب الحبيـب.. أسـمعك.. "تـصرح" آه إنـه يجيبنـي

المـــومس بقدمه.. آه (تدور فرحة)

الـــــسيدة أنا أيضا.. ابنتي تتحرك.

المـــومس ولم تفترضين إنها فتاة؟

الـــــسيدة حركتها ناعمة.. شفافة.. إذن لابد أنها عصفورة صغيرة.

المـــومس آه.. آه "تصرخ منتشية" آه

الـــــسيدة كم أنا فرحة

المـــومس أكاد أطير كالفراشة

الفتـــــاة أشعر أن لي أجنحة

السيدة (منكسرة): ابني لا يتحرك (بحزن شديد) لا يتحرك

المومس ربما هو خجول.

(تحتضن بطن الفتاة لتصغى) هذا لأنك تجلسين طوال الوقت ولا تفكرين إلا بالهرب.. علينا أن نعيش لأجلهم.

السيدة (تصرخ متألمة ثم تهرب بعيدا وهي تمسك بطنها)

المومس ماذا هناك؟

السيدة يبدو أنني سألد.

الفتاة (بخوف) يارب أنت أعرف بما ينتظرنا.

السيدة لن يسمعنا.

الفتاة بل يسمعنا أيتها الصغيرة.. ويدرك ما نعاني قبل أن تنط الألسن.

السيدة ومن .. أنت.. حتى تعرفين أنه يسمعنا.

سأريك من أن (تهجم عليها) سأسحقك. (تهزها بعنف) لو

الفتاة كنت قوية لما هزمت.. ولما جن أبوك ولما هرب صديق التافه.

(تتكلم بصعوبة بالغة) أنت.. أنت، اتركينى.

السيدة (تحاول تخليص نفسها)

الفتاة لن أتركك حتى أسقط الرجس الذي تحملينه.

السيدة إنه.. ابني.

تزيدين أولاد الحرام ولدينا منهم ما يكفي أيتها الفاجرة

الفتاة الصغيرة.. وستكونين مثلها (تشير إلى المومس)

المـــومس اتركيني يا متوحشة.. "تبعدها"

(تصرخ وحدها في الزاوية وهي تمسك ببطنها) لماذا تريدين قتلي وأنت بعد صغيرة؟.. إلا أنك تريدين التخلص مني؟ أعرف أنها النهاية.. لكنني لم أشبع بعد نهمي وشوقي للحياة، لا تتركاني أرحل.. لماذا كتب علينا الموت هنا؟ في حين أن الأزهار تنبت في حدائق السجون وتنمو وتكبر.. أهذه هي المعادلة؟ أهكذا ستنمو ابنتي بين أيديهم وتكبر ليسحقوها كالكلبة؟ في حين أن هنالك آخرين يسحقونهم كالأحذية

الـــسيدة (تتقدم وتنظر إلى السماء) يا إلهي أنا الرقم (السابع والعشرون)

المـــومس أناديك.

الـــسيدة لا تصرخي.. فسيأتي الحراس.. وأنت تعرفين أنه في الجوار.

المـــومس أنا أموت.

ليتم كل شيء بصمت.

الـــسيدة (تندفع إلى المقدمة رافعة يديها) يا إلهي أنا الرقم السابع

المـــومس والعشرون.. الساقة السابعة والعشرون أدعوك لنجدتي، يا إلهي. كفي عن الصراخ.. فلن يصغى لأمثالك.

الفتـــــاة إذا كان لا يصغى فساقتلك أيتها المدعية.. وإن كان لا يسمع

المـــومس فسأواصل الصرارخ.. ثم أقتلك (تهجم عليها).

الفتـــــاة (تقف في طريقها) اتركيها.. اتركيها.

أنا أتألم.. وسأموت.. أنا أشعر بذلك.

(بهدوء) لا تخافي فهذه الآلام كآلام الشعوب قبل أن تلد.

السيدة تطول.

الفتاة (تهرب المومس إلى الزاوية)

وهل تلد الشعوب يا مثقفة؟

الشعوب الصامتة كالبقرة.. ت.. تجتر آلامها ... لكنها ستلد

السيدة يما ثورا لا يستطيع الحاكم قتله.. علينا.. أن.. أن نؤمن

الفتاة بذلك.. ولا.. لانقتل أطفالانا فربما سيكون أحدهم ذلك الثور.

أينما سيهربون، سيتبعهم القصاب يحمل ساطورا ملطخا بالدم.

المومس علينا أن.. أن.. أن نهرب.

(تعود المومس وقد تلاشت نوبة الألم)

كان هو يردد هذه الكلمة.. لنهرب.. لنهرب حتى بدأت أحس

الفتاة أنني أسكن في قدر ماء ساخن وسأختنق مثله (للفتاة) إنه

المومس يشبهك.

الفتاة بماذا يشبهنى؟

المومس خائف مثلك ومهزوم ولا يريد إلا الخلاص حييا.

السيدة لابد أن.. أن.. نهرب. هذا هو أملنا الوحيد.

المومس لم لا نقتل الحارس؟

السيدة هنالك آخرون.. آخرون..

الفتـــــاة نقتل الأول ونأخذ المفاتيح ونهرب.

(تقاطعها) ستعيدنا الكلاب إلى هنا، وأنا أخاف من الكلاب.

لا تترددن فهناك لحظات في.. في الزمن.. غفلة.. يمكننا أن

الـــسيدة ننجو بها وهي أمل الكثيرين.. تحركن معي (يندفعن جهة

المـــومس الباب).

الـــسيدة (تتوقف) أنا خائفة.

المـــومس لم نفعل أي شيء حتى الآن.

الـــسيدة أنا أرتعش.. الخوف يعذبني أكثر من أي شيء آخر.

الفتـــــاة اسكتي.. (صوت دقات القلب) ما هذا الصوت؟

الـــسيدة إنه قلبي.

سننجو.. عليك أن تؤمني بذلك.

نعم سننجو (يسرعن إلى الداخل).

(ظلام)

## اللوحة الثالثة

صمت كأنه الموت

(تفتح الإضاء تدريجيا.. لا حركة.. المومس كما لو أنها ثوب معلق على حبل عصر عصرا جيدا أما الفتاة فكتلة لا تتحرك مهملة. السيدة تفتح عينيها وفمتها بدهشة.. وقد انتهى لديها الإحساس بالألم.

(صرخات صقر يبتعد)

المـــومس هل متنا؟ "صمت" أنحن أموات؟.. "لا أحد يتحرك"

الـــــسيدة مادام الألم قد تلاشى.. إذن فنحن أموات.

المـــومس لابد أننا في الجنة.

الـــــسيدة ما دمت أسمع صوتك فلا أعتقد.. أنت لا تدخلين الجنة.

المـــومس (تنظر إليها باستغراب ثم تسحب نفسها بصعوبة.. وتحاول الحركة دون جدوى.. تسقط): لقد ضربوني بقسوة. (تنهض)

الـــــسيدة أنا أيضا. ما كان علينا أن نفكر بالهرب وتبع فتاة صغيرة

المـــومس طائشة.

الـــــسيدة أين هي؟

المـــومس هناك ميتة.

ما دمت تؤمنين بالله فعليك أن تحترمي الإنسان.. ولا تقولي

الـــــسيدة ببلادة أنها ميتة.. تعالي معي.. لنساعدها.

المـــومس أنا لا أقترب من الموتى "تردد كلمات استغفار كثيرة".

أتعتقدين أنك بهذا تكفرين عن ذنبك.. لابد أن وراءك جرما لا

الـــــسيدة يغتفر أيتها القاسية.

المـــومس اخرسي (تصفعها).

الـــــسيدة (بهدوء) سأعرف جرمك يوما ما يا مدعية.

المـــومس اخرسي (تصفعها) اخرسي .. اخرسى.. "تضربها".

(تتركها وتركض إلى الباب) افتحوا الباب.. افتحوا الباب لقد ماتت.. السيدة الصغيرة.. الأم الصغيرة.. ماتت المسكينة (تركض إلى النافذة وتصعد فوق المصطبة (تصرخ) أيها الناس.. لقد ماتت.. ماتت المسكينة (للسيدة) اصرخي معى.. اصرخى.

(السيدة تركض إلى الباب وأثناء الجمل يتبادلن الأماكن بين

الـــــسيدة الباب والنافذة.. وبنفس السرعة والخوف)

أيها الناس.. كل شيء فان.. وعلينا أن نحترم الموت.. وقد

المـــومس ماتت المسكينة.. افتحو الباب.

السيدة هناك امرأة ميتة.. ونحن سنموت معها.. النجدة.. النجدة.

المومس أنجدونا.

السيدة أنجدنا يا ربي.

المومس يارب كل شيء حي.. أنقذنا من الموت.

(تركض) لا تصمتوا، لا تمارسوا حياتك بسذاجة في حين

السيدة يموت الآخرون. نحن هنا.. نحن هنا.

المومس نحن هنا تحت الأرض.

السيدة تحت الأرض (تركض) تحت الأرض .. تحت الأرض.

المومس هنالك أرض تحت الأرض التي يعيشون عليها، أرض فيها سجون

السيدة أرض سفلي، أرض مات فيها بعض من أهلنا. أرض أعدت للموت.

اقلبها يا رب. اقلبها رأسا على عقب وخلصنا جميعا. فإما أن

المومس يعيش الإنسان يملؤ صدره الهواء.. أولا.

السيدة (يتغير إيقاع الكلام.. فيصبح متدفق).

المومس (تصرخ) حين يقودك غبي.

السيدة عليك أن تقتل ذكاءك.

وحين يقودك شيطان.. أعلينا أن نقتلك فينا كي نبقى أحياء.

المومس (تصرخ صرخة طويلة) لا.

السيدة (صمت)

المومس (بخيبة): لا أحد... لا أحد.. لا أحد يسمع.

لا أحد يرى.

السيدة لا أحد يشعر.. لا أحد.. لا أحد.. "تستدير لها" ماذا علينا أن نفعل؟ نتركها في العراء؟

رأيت الكثير يموتون.. ولا يدفنون بل يتركون بين القبور بلا قبر، ينزل عليهم المطر ليبعد عنهم الدود.. ولا يبقى منهم

المومس سوى فم يصرح أو يسخر، لا أحد يمكنه تحديد ذلك، فالمطر

السيدة والتراب يأكلان الملامح.

المومس انظري إليها. إنها تبتسم.

(تهرب) أنا أخاف الموتى.

السيدة الست مؤمنة صمت أنا لا أؤمن بشيء ورغم ذلك لا أخاف

المومس الموتى.. (بحزن) أنا امرأة مهزومة ساقطة.

ستشفي الجراح في العالم الآخر.. هذا ما أعرفه.

لم أعش لأتحمل الطعنات بصمت.. ثم لتشفى جراحها هناك.

السيدة أنت مسكينة، لا تعرفين سوى أشياء لا يقتنع بها سواك.

المومس (تبتعد كل واحدة إلى زاويتها)

(تسبح)

(تردد أغنية مع نفسها)

الفتـــــاة [تتحـرك الفتـاة.. مـدمرة.. وقـد غطـى الـدم وجههـا ومـزق ملابسها، تقف في الوسط ثم تنظر إلى السماء]

أنا المواطنة رقم (ألف ومائة وثلاث عشر) أ.. أ.. أعترض فقد

الـــسيدة ضـربوني كـالثور.. وأنـا.. أنـا امـرأة (تنظـر إليهـا الـسيدة) مـاذا تفعلين؟

الفتـــــاة اعتقـدنا أنـك رحلـت عـن عالمنـا. لهـذا كنـت أصـلي، عـسى أن تفتح أمامك أبواب السماء.

كنـت أسـمع صـراخكن.. ولـم تكـن لـي رغبـة للنهـوض.. كنـت أتمنى أن تفتح الأرض لا السماء.. الأرض.. ثم أدخل بهدوء،

المـــومس دون صلاتك هذه .. بل هكذا.. كما لو أنني.. كما لو جئت

الـــسيدة خطأ وعدت.

المـــومس (تضحك فتهرب السيدة إلى مكانها).

ضحكتك هذه تذكرني بالشيطان.

الفتـــــاة الشيطان.. أم أن جسدك يرتعش حين تقتحم مسامعك وترغبين

المـــومس بتقليدها "تضحك من جديد وتبتعد السيدة" ذهبت لتصلي

أنا خائفة.

لا تخـافي يـا صـغيرتي.. فمـاذا يمكـنهم أن يفعلـو بعـد. مازلنـا أحياء رغما عنهم.. لقد ضربوني بقوة وكنت أذوب بين أيديهم كـالحلوى "تعـيش اللحظـة نفـسها" أحـدهم شـدني مـن شـعري

والآخر أخذ يلسعني بالسوط والثالث أطفأ سيجارته في يدي، والرابع حمل كتابا ضخما وأخذ يضربني به على رأس، والخامس لا أعرف بم كان يؤذيني.. وأنا الحلوة كنت أضحك.. أتقيأ، ثم أدعي أنني أذوب، وحين قال أحدهم لنخرج الجنين منها بقوة، دفعوا بأيديهم إلى ورفعوني فشعرت

السيدة أنني أطير إلى سماء فضية كملكة للنحل. تطاردني الذكور.

المومس لتنفذ حكم الإعدام بي (تصرخ بقوة مستنجدة) يا واحدي

السيدة الذي أحبه.

المومس (تردد في خشوع وهي تسبح) يا منجدي الذي أريد.

السيدة يا رجلا هوى معذبا إياي.

المومس يا ملكا مدت له يداي.

وهكذا شعرت أنني أموت من اللذة.

هو "تصرخ بها" اسكتي يا فاجرة.

السيدة بل اسكتي أنت "تقف أمامها مستعدة للشجار" يدخل هو

هو (تعود كل واحدة إلى مكانها).

أنتن أحياء.. هذا أمر مؤسف.. لماذا أقدمتن على الهرب.

"تشير إلى الفتاة" هي قالت.

"ينظر إلى الفتاة" أنت أيضا أمامي "يسحبها" ما كن عليك أن تفعلي ذلك، فلو استطاعت أي واحدة الهرب لانهار كل ما

بنيته.. وربما كنت سأقتل بدلا عنها "الأخريات"، ما كان عليكن فعل ذلك.. بعد أن "صمت" بعد أن حدثت المعجزة (كل

المومس واحدة تنظر إلى الأخرى بخوف واستغراب) لقد حدثت

هو المعجزة ولابد أن تكون بينكن واحدة لها بركات من السماء، فقد جاءني بلاغ الآن يؤكد أنكن ستخرجن من هنا.

المومس حقا؟

نعم سنعيدكن إلى الحياة من جديد.. ونحن آسفون فربما تعرضتن لقليل من المضايقات.

قليل؟ "تمسح بيدها بقع الدم المتبقية" قليل من المضايقات،

هو قليل؟ (تردد) قليل من المضايقات.. قليل.. قليل من

المومس المضايقات.. أقل من القليل.. قليل من المضايقات ياربي

السيدة (تتهار باكية) أبعد كل هذا.. تكون قليل من المضايقات.

المومس كفى.. المهم ستخرجن.. ستغادرن هذا المكان.

من هذا الرجل الذي يمنح الحياة كأنه.. "تقفز السيدة مقطاعة" لا تشبهي هذا به.

السيدة (بهدوء) ألا تسمعين؟.. هو يأخذ الحياة ويمنحها ويقلل من

هو السعادة ويأخذ حصتنا من الرزق.. ويمنح الناس الحق

المومس بالحياة.. إنه..

السيدة (تقاطعها) لا تكلمى.. إياك.

الفتـــــاة كنت أظن أن صراخ الفرح سيرتفع عاليا حين أعلن قرار الرحمة

هـــــــو (تقف أمامه بهدوء) أنا فرحة.

الفتـــــاة وأنا كذلك.

هـــــــو (تتقدم) وأ.. أ.. أنا فرحة.. جدا.

المـــومس (يدفعها بعيدا) أنت لا تتدخلي.

هـــــــو (بانكسار) لماذا؟

المـــومس ابتعدي (يدفعها بعيدا ثم يستدير للأخريات) ستخرجن قريبا.

هـــــــو (تركض للداخل) سأحزم حقائبى.

المـــومس ألديك حقائب؟

هـــــــو أقصد أشياء.

ألديك أشياء؟

الـــسيدة سأحزم أي شيء.. سأحزم وسطي (تركض إلى الداخل فرحة)

المـــومس إن قرار الرحمة مرتبط بشرط لكي واحدة. أساس الشرط أن

الفتـــــاة نتعاون معا.

هـــــــو أنا على استعداد.

(تخرج رأسها من بعيد) وأنا أيضا.

المـــومس (تتقدم إليه) أحقا؟.. وأنا؟.. أبقى وحيدة؟ سأجن.

هـــــــو لا غرابة في ذلك (بهمس) بل الغرابة أن لا تسيري على خطى

المـــومس والدك.

هـــــــو أنا جاهزة.

المـــومس كما توقعت.. فأنت الأكثر شوقا إلى الحياة.
لا شيء يعادل خروجي من هذا القبر.

هـــــــو لتعودي إلى الليل وإلى الأماكن التي غادرتها.
(تصرخ بلذة) لكم اشتقت إلى مذاق الليل. (له) أين أكتب

المـــومس أني موافقة، قل بسرعة.

هـــــــو هنا.. "يظهر بعض الأوراق التي معه" وكل ما نطلبه منك هو أن

المـــومس تدسي السم لعشيقك الذي هرب.. هذا فقط هو ما نطلبه.

هـــــــو "تتوقف" ماذا قلت؟

المـــومس ستكونين بطلة وسنظهرك أمام العالم.. امرأة تنتقم لشرفها.

هـــــــو (تتطلع إليه) أهو مهم لديكم إلى هذه الدرجة؟

المـــومس نعم.
الرجل الذي كان يبكي على صدري كالطفل.

هـــــــو هو الآن هدفنا الأول.. الأخطر والأهم.
الرجل الذي قبلني ليخفي وجهه عن الشرطى.
[تدور غير مصدقة] أيعقل ما أسمع!؟

المـــومس (يتبعها) لقد ابتعد.. بعد أن نجا بحياته، ولم نستطع الإمساك به.. ثم سمعه العالم وصدقه الكثيرون.. ونحن أمام الجميع لا نريد أن نكون قتلة.. وكل ما سيكون..امرأة انتقمت لشرفها.

(بتهكم) وأين هو شرفي؟.. عندما كانوا يضربونني بقسوة هل كانوا يدافعون عن شرفي؟.. عندما كان أحدهم يشدني من شعري.. هل كان يدافع عن شرفي؟.. عندما أطفئوا السجائر في يدي.. هل كانوا يدافعون عن شرفي؟ "تنفجر ضاحكة"

هـــــو أقسم أنكم رجالا شريفاء بل أشرف واحد فيكم من كان ينوي

المــومس استخراج الجنين من بطني بقوة كما لو أنه يستخرج صخرة من

الفتـــاة بطن الجبل (تواصل ضحكتها) أيها الشرفاء.

هـــــو فكري جيدا.. قبل أن أسمع الرد.. "يغضب" هيا.

المــومس نعم.. "تهرب" نعم.

هـــــو أحقا.. أ.. أحقا تفكرين؟

المــومس "يصرخ بالفتاة" ابتعدي عنها.. "للمرأة" فكري يا عزيزتي.

عزيزتي؟ "تضحك".

وخذي هذه السيجارة.

عجبا. أمس أعطوني سيجارة لكنهم أطفئوها في يدي.. واليوم سيجارة أخرى.. أهي ضمن الاتفاق؟

هـــــو كل شيء ضمن الاتفاق، حتى الكلمات، وكان عليّ أن أعطيك علبة سجائر كاملة إلا أنني قمت بتوزيعها على البعض ممن يسهرون على حمايتنا. فأنت تعرفين أننا بعيدون عن أي مكان.

المــومس أشعلها "يشعل سيجارتها" أشعلني.

هـــــو "بغضب مكتوم" اذهبي من أمامي وفكري.. إما الحياة.. أو الموت. هنا "يتركها ثم يتجه للسيدة"

هـــــو (مخاطبا السيدة) تعالي هنا.

الـــسيدة "وقد أنهت صلاتها" السلام عليكم ورحمة الله وبركاته السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

هـــــو وعليكم السلام.

الـــسيدة كنت أسلم على الملائكة.

هـــــو أنا واحد منهم، انظري.. (يستعرض نفسه بوقاحة) جئت لأخرجك من هنا.

الـــسيدة الشرط.

هـــــو أن تسلمي لنا زوجك.

الـــسيدة لقد مات.

الفتـــــاة نعم.. زوجها مات.

المـــومس اعترفت لنا بذلك.

هـــــو (للسيدة): نحن نعرف حقيقة الأمر فلا داعي للمراوغي، هو حي، ونريده، وحين تخرجين سيهرع إليك.. وعندها سنتكفل بما تبقي ولن نتعبك مثلها.

الـــسيدة أنا موافقة.

هـــــو اكتبي هنا "تهم بالكتابة".

الفتـــــاة انتظرى.. عل.. عل.. عليك أن تفكر قبل أن تفعلي ذلك.

هـــــــو لا تتدخلي يا حمقاء.

الفتـــــاة علينا أن نفكر معا.

هـــــــو "للفتاة" لا دخل لك في الأمر.. ولن تخرجي من هنا أبدا "يصرخ". أبدا: القوة هي الأساس الوحيد في حساباتهم.

الـــسيدة وهل أصبح الشيخ مهما إلى هذا الحد.

هـــــــو زوجك.

الـــسيدة زوجى.

هـــــــو حماقة أن تكون لنا زوجات في حين أنهم قادرون على أخذه في أي وقت.. ثم إنه ليس زوجك.. فلا توجد وثيقة تثبت ذلك وهو أحمق.. أحمق.. عليه أن يعرف ذلك. (يصرخ) لم تعد الثورة هي الوسيلة.. فالعالم لم يعد كما كان.

الفتـــــاة الفكرة نفسها.

هـــــــو لقد تحطمت الفكرة.. ولم تعد هناك فكرة نحتاج إليها، وعلى الجميع أن يؤمنوا بذلك إننا جميعا قتلة.. وجميعا أبرياء، علينا أن ندفع ثمن كل شيء، حتى بقائنا.

الفتـــــاة البقاء أم الغباء؟

هـــــــو ابتعدي.

الفتـــــاة لم فعلت ذلك؟

هـــــــو ابتعدي "يهرب".

الفتـــــاة لم؟ أريد سببا.. أي سبب حتى لو لم يكن مقنعا.

هـــــــو ابتعدي.. عودي إلى مكانك.. اجلسي، ولا تتحركي، فلو كنت مخيرا لتخلصت منك قبل أي فعل آخر.. الآن.. فما أنت إلا نقطة ضعفي في زمن القوة، والقوة عليها أن تأكل الجزء الضعيف فيها. (يخرج)

المـــومس لماذا أنت نقطة ضعفه؟

الفتـــــاة ل..ل لماذا أنت ستخرجين أولا؟

المـــومس ماذا كان يعني بذلك؟.. أنت نقطة ضعفه.

الفتـــــاة أتبيعين الرجل الوحيد الذي أحببته؟!

المـــومس أنا لم أقل نعم.. بل هى.. بعد أن ادعت أن زوجها قد مات.

الـــــسيدة نعم.. مات.. مات.

المـــومس ولكنـــــه قبـــــل قليـــــل.. قـــــال كلامـــــا آخـــــر.

الـــــسيدة إذه فهو آخر.. ماذا تريدين؟

المـــومس هل ستخرجين؟

الـــــسيدة نعم.

المـــومس تسلمين زوجك لهم؟

الـــــسيدة زوجي مات.

المـــومس ما هذه اللعبة؟

السيدة اتركيني.

المومس تعالي هنا. أنت عمياء.. سيأخذون زوجك.

السيدة لا أريد منك النصح.

المومس أنت امرأة مدعية، كيف يمكن أن تكون معنا.

السيدة هذا جسدي الذي ترينه، أما روحي فهي هناك (تشير إلى السماء).

الفتاة لست مجزئة.

السيدة الروح ملكه.. أما الجسد فحطام يذبل.. وروحي يملؤها النور، رغم أنني أعيش هنا وسط الظلام، أما أنت فالظلام يملأ روحك، وهي (تشير إلى المرأة) تتمرغ في الطين الآسن جسدا وروحا "مع نفسها" لا تنظر إليها يا ملاك روحي، كي لا تحمر وجنتاك خجلا.

المومس (تهاجمها) أنت مجنونة، مدعية، متسلطة وساقتلك قبل أن تفعلي أي شيء.. سأقتلك (تطبق على رقبة السيدة) ستموتين.

السيدة (تصرخ)

المومس اصرخي ما تشائين فلن تنجي من بين أصابعي التي زادها الطين الآسن قوة (تصرخ) ضجرت منك.. اصرخي..

(تمزق ثياب السيدة فتظهر كما لو أن في داخلها شيطانا، تصرخ في وجه المومس.. الفتاة تهرب صارخة)

المـــومس لا أخاف كل ما تفعلينه.. وإن كان علينا أن نموت فأنت أولا.

الـــــسيدة (بصوت كما لو أنه صوت حيوان) أتعترضين على قتل رجل ميت سقط شهابه بعد أن حاول التلصص من نوافذ السماء.. ابتعدى.

المـــومس أنا لا أخشاك.. ولن أتركك حتى تموتي (تمزق ثياب الشيطان بيدها فتظهر المرأة في ثوب بسيط وتتغير روحها وصوتها إلى هادئ.. حزين)

الـــــسيدة لماذا تريدين قتلى.. إنني امرأة بسيطة.

الفتـــــاة (تدور صارخة): يا إلهي، ماذا في هذه النفس! ماذا في هذه النفس

المـــومس (تتركها): من أنت؟

الـــــسيدة (تتحدث كأنها من حجر): امرأة تزوجت في القرى.. كان زوجي يغتصبني كل ليلة. وكان يملك بقرة، فعشنا معا.. أنا.. وهو .. والبقرة.. كنت أتحدث إليها (تتحدث إلى البقرة التي تستحضرها) أنا وأنت متشابهتان.. أنت تأكلين. تنامين، تعطين الحليب، وأنا كذلك. أنت يضربك عبد الحميد وأنا كذلك.. أنت يسوقك أمامه.. وأنا يتركني أركض خلفه.

ولأنهم يحيطون بك مباركين نكاحك فلم تشعري باللذة أبدا، أنا لم أشعر بها مع عبد الحميد، أنت ستموتين في الزريبة. وأنا

في الغرفة المجاورة. أنت تبكين طوال النهار.. وأنا أبكي طوال الليل، وقفت البقرة ونظرت إلي، وتساقطت من عينيها قطرات دمع ثم استدار وذهبت، هربت من تلك القرية المسحورة هربت وختفت.. وبدأت حكاية المرارة.

المـــومس يا للمسكينة.

الـــــسيدة أنا لست مسكينة.. وقد حزمت أمري.. سأذهب إليه.. إلى الواحد الذي سينصفني بعد أن توهج في روحي الضياء (تتغير طريقتها إلى هجومية) أما أنت فستبقين في الوحل.. في ذلك البئر الآسن.. مكان الرذيلة على الأرض.

المـــومس أنت أكثر من امرأة.

الـــــسيدة وأنت لست امرأة.

الفتـــــاة كفى.. كفى.. س.. سيأتي الغبي ليعذبنا.

المـــومس لا ترفعي صوتك إذن.. فقد يسمعك.

الفتـــــاة لا.. لا تخافى.. هو.. هو يعرف رأيي به .. ال.. ال..الغبي .. أنه.. ك.. كلب.. وقد سمع هذا منذ بداية سقوطه.

المـــومس أتعرفينه منذ زمن طويل.

الفتـــــاة (تتحدث بألم وبصعوبة "الآن.. بعد.. أن .. سيصرح لكما بالحياة.. وأ.. وأبقى أنا.. لابد أن أخبركما.. فقد رفض أن أكون معكم حتى لم يساومني على شيء.. لأنه "للمرأة" سأبقى

لوحدى.. فهو.. يهددني بالقتل.. أن قلت ب.. بـ(تعجز.. وتتوقف ما أن يندفع "هو" إلى الداخل وقد كان يصغي إلى ما قالته الفتاة).

هـــــو ما هذا الصراخ؟ من كانت تصرخ؟

المـــومس كنا نهمس لبعضنا.

الفتـــــاة أنا.. أنا كنت أصرخ.. يا.. أخى

الموســـم أخوك!!

الـــسيدة أخوك!!

الفتـــــاة نعم أخى.. أ..أ أخي الذي قتل أخاه.. ودفع أباه إلى الجنون ولكن لحسن الحظ أنه.. أنه من أم أخرى.. أم تعمل مثلك لكنها لا تشبهك "تنظر إليه" الساقط يريد تمريغ الجميع بالوحل.. والـ.. الـ.. الكلب لا يخشى إلا صوت سيده.. ونحن.. نحن مجرد هدايا.. يقدموننا من سجن إلى .. إلى آخر.

هـــــو كنت أنفذ الواجب.

الفتـــــاة فقتلت أخاك بيدك لم فعلت ذلك؟.. هل. هل رأيته يسقط (تبكي)

هـــــو نعم... رأيته يسقط (مأخوذا إلى هناك يعتصره ألم مجهول).

الفتـــــاة لم؟ .. لم لم تمت من شدة الحزن؟

هـــــو كدت أجن ساعتها وأنا أراه يسقط مع الآخرين أخي وأغمضت عيني ولم أشعر إلا ويد الرجل الكبير تضغط على كتفي وهو يقول أحسنت.

الفتـــاة أحسنت.. أ. أ.. أحسنت.

هـــــو (يصرخ) أحسنت.. أحسنت.. أحسنت.. أنت منا وستكون في المقدمة دائما. وسيكون لك مستقبل كبير عليك أن تحرص عليه.. وتنفذ كل ما يطلب منك كي لا تخسر فأنت منا. أما هو... وأشار إلى أخيك.. فقد أراد قتلنا جميعا. وأنا معهم. إذا لا يمكنه الوصول إليهم إلا بعد قتلي.. وهذا ما يعني أنه أراد قتلي بالفعل.. ولذلك كان علينا أن ندافع عن بقائنا.

الفتـــاة أتعتقد أنه كان سيفعل؟.. كان بمقدوره قتلك وأنت في فراشك. نعم.. يقتلك في الفراش.. فأمثالك لا يقتلون في الساحات.. فهل تظن أنه كان يريد ذلك.

هـــــو نعم.. نعم.

الفتـــاة هو لم يكن يؤمن بما تدعيه.

هـــــو أنت لا تعرفين.. فهناك من يدفعه.. يحثه.

الفتـــاة لكنه.. لن.. لن يفعل.

هـــــو (كما لو أنه يسرق في تلك اللحظة)

لقد ظل ممدا في الساحة لمدة ثلاثة أيام.. وأصبحت أنا رئيس

الحرس بين ليلة وأخرى.

المـــومس تظهر باكية ياللفاجعة.. يا للفاجعة.

الـــــسيدة (تبكي أيضا) ياللفاجعة.

الفتـــــاة لقد منع كل الناس من التقرب إلى جثة أخي، وظل عاريا.

هـــــــو (يسرع للمرأة) لكنها جاءت يتبنعها أبي.. وحفرا قبرا وسط السحاة، وواراه التراب، رغم أن ذلك كان عارا ودنسا ولا يقد على فعله إلا من أصابهم مس، إلا أنهما دفناه، ونهض أبي مجنونا وهي أخذت تصرخ، إن أمي فاجرة، وكنت مذهولا، وبغفلة سرقت السلاح مني وقتلت الرجل الكبير ولم أرها بعد ذلك الفتاة لقد.. لقد، لقد درت من سجن إلى سجي، ومن فحل إلى فحل.

هـــــــو أنا لست مذنبا.. وقد تسلقت المناصب بسرعة أثارت دهشة الجميع. كيف تريدين أن أتراجع؟. لا. لم تعد يداي ملطختين بالدم.. بل تمرغت فيه.

(يبقى وحيدا وتنسحب المومس لمواساة الفتاة)

(تقترب السيدة منه).

الـــــسيدة أحقا أن زوجي أصبح مهما؟

هو (بغضب): زوجك.. زوجك يحمل سيفا في هذا الزمن.. فبدا للعالم مجنونا لا يشكل خطرا..مجنون، يركض في

الصحراء تتبعه بعض النسوة والأطفال، وآخرون نصبوا خياما سوداء. وحرروا الخيل.. ولما أحاطوا به وأرادوا النيل منه بدا مقبلا على الموت لا مدبرا، طعنوه فلم يقتل. منعوا عنه الماء.. تفجرت حوله الينابيع.. فجن البعض واستماتوا حوله، العالم سينقسم إلى قسمين من جديد بفضل زوجك الساحر العنيد.

السيدة (ببرود): أنا سأقتله.

هـــــو هذا ما اتفق عليه الجميع "يستدير ليخرج فيجد الفتاة أمامه".

الفتـــاة لا تكن قاسيا علينا يا أخي.

هـــــو هذا المساء.. سأقتل أبي.

الفتـــاة (روحها ترتجف لسماع ما يعلنه) أبي؟ مالذي يدفعك لذلك؟

هـــــو وما الفرق إذا تلطخت أيدينا بالدم.. أو غرقنا به.. سأقتله.

الفتـــاة أعرف أنك.. ل.. لن تتراجع.. ولكن.. لا.. لا تفعل.

هـــــو هذه أوامرهم.. إنهم يهيئونني لأكون قائدا ولن أتراجع من أجل بقية المشاعر. علينا أن نقود القطيع يا أختي.. وعلي أن أقتل الرحمة بقلبي. إن كان لها بقية، هذا المساء سأقتل أبي سأذبحه.

الفتـــاة أنت.. أنت.. م.. مجنون.. فماذا يريدون من رجل عجوز يقضي أيامه في مستشفى المجانين.

هـــــو هو لا يعني لهم شيئا.. إنهم يريدون تصفية أوراقي لتظهر

بيضاء، وعلى أحسن وجه.

الفتـــــاة أرجوك.

هـــــــو لا تتوسل فقد انتهى الأمر.

الفتـــــاة إنه أبوك.

هـــــــو سيكون لي تاريخ آخر.. يذكر في الكتب، وأهل أبطال، غيركم وهـم حاضـرون فـي مكـان بعيـد. كـذابون مهـرة حتـى فـي مشاعرهم.

الفتـــــاة حسنا.. قل.. قل.. قل له إنني أسلم عليه.. و.. قل له إننا نكتشف أنفسنا داخل الورطة.. وقل له.. ما.. ما.. ما كان عليه، أن يتزوج المرأة الساقطة التي أنجبتك يا أخرى. (يخرج هو)

المـــومس هل متنا؟ "صمت" أنحن أموات؟.. "لا أحد يتحرك"

الـــسيدة مادام الألم قد تلاشى.. إذن فنحن أموات.

المـــومس لابد أننا في الجنة.

الـــسيدة ما دمت أسمع صوتك فلا أعتقد.. أنت لا تدخلين الجنة.

المـــومس (تنظر إليها باستغراب ثم تسحب نفسها بصعوبة.. وتحاول الحركة دون جدوى.. تسقط): لقد ضربوني بقسوة. (تنهض)

الـــسيدة أنا أيضا. ما كان علينا أن نفكر بالهرب وتبع فتاة صغيرة طائشة.

المـــومس أين هي؟

الـــــسيدة هناك ميتة.

المـــومس ما دمت تؤمنين بالله فعليك أن تحترمي الإنسان.. ولا تقولي ببلادة أنها ميتة.. تعالي معي.. لنساعدها.

الـــــسيدة أنا لا أقترب من الموتى "تردد كلمات استغفار كثيرة".

المـــومس أتعتقدين أنك بهذا تكفرين عن ذنبك.. لابد أن وراءك جرما لا يغتفر أيتها القاسية.

الـــــسيدة اخرسي (تصفعها).

المـــومس (بهدوء) سأعرف جرمك يوما ما يا مدعية.

الـــــسيدة اخرسي (تصفعها) اخرسي .. اخرسى.. "تضربها".

المـــومس (تتركها وتركض إلى الباب) افتحوا الباب.. افتحوا الباب لقد ماتت.. السيدة الصغيرة.. الأم الصغيرة.. ماتت المسكينة (تركض إلى النافذة وتصعد فوق المصطبة (تصرخ) أيها الناس.. لقد ماتت.. ماتت المسكينة (للسيدة) اصرخي معى.. اصرخى. (السيدة تركض إلى الباب وأثناء الجمل يتبادلن الأماكن بين الباب والنافذة.. وبنفس السرعة والخوف)

الـــــسيدة أيها الناس.. كل شيء فان.. وعلينا أن نحترم الموت.. وقد ماتت المسكينة.. افتحو الباب.

المـــومس هناك امرأة ميتة.. ونحن سنموت معها.. النجدة.. النجدة.

السيدة أنجدونا.

المومس أنجدنا يا ربي.

السيدة يارب كل شيء حي.. أنقذنا من الموت.

المومس (تركض) لا تصمتوا، لا تمارسوا حياتك بسذاجة في حين يموت الآخرون. نحن هنا.. نحن هنا.

السيدة نحن هنا تحت الأرض.

المومس تحت الأرض (تركض) تحت الأرض... تحت الأرض.

السيدة هنالك أرض تحت الأرض التي يعيشون عليها، أرض فيها سجون

المومس أرض سفلي، أرض مات فيها بعض من أهلنا. أرض أعدت للموت.

السيدة اقلبها يا رب. اقلبها رأسا على عقب وخلصنا جميعا. فإما أن يعيش الإنسان يملؤ صدره الهواء.. أولا.

(يتغير إيقاع الكلام.. فيصبح متدفق).

المومس (تصرخ) حين يقودك غبي.

عليك أن تقتل ذكاءك.

المومس وحين يقودك شيطان.. أعلينا أن نقتلك فينا كي نبقى أحياء.

السيدة (تصرخ صرخة طويلة) لا.

(صمت)

المـــومس (بخيبة) لا أحد.. لا أحد.. لا أحد يسمع.

الـــــسيدة لا أحد يرى.

المـــومس لا أحد يشعر.. لا أحد.. لا أحد.. "تستدير لها" ماذا علينا أن نفعل؟ نتركها في العراء؟

الـــــسيدة رأيت الكثير يموتون.. ولا يدفنون بل يتركون بين القبور بلا قبر، ينزل عليهم المطر ليبعد عنهم الدود.. ولا يبقى منهم سوى فم يصرح أو يسخر، لا أحد يمكنه تحديد ذلك، فالمطر والتراب يأكلان الملامح.

المـــومس انظري إليها. إنها تبتسم.

الـــــسيدة (تهرب) أنا أخاف الموتى.

المـــومس الست مؤمنة صمت أنا لا أؤمن بشيء ورغم ذلك لا أخاف الموتى.. (بحزن) أنا امرأة مهزومة ساقطة.

الـــــسيدة ستشفي الجراح في العالم الآخر.. هذا ما أعرفه.

المـــومس لم أعش لأتحمل الطعنات بصمت.. ثم لتشفى جراحها هناك. أنت مسكينة، لا تعرفين سوى أشياء لا يقتنع بها سواك.

(تبتعد كل واحدة إلى زاويتها)

الـــــسيدة (تسبح)

المـــومس (تردد أغنية مع نفسها)

[تتحرك الفتاة.. مدمرة.. وقد غطى الدم وجهها ومزق

ملابسها، تقف في الوسط ثم تنظر إلى السماء]

الفتـــــاة أنا المواطنة رقم (ألف ومائة وثلاث عشر) أ.. أ.. أعترض فقد ضربوني كالثور.. وأنا.. أنا امرأة (تنظر إليها السيدة) ماذا تفعلين؟

الـــسيدة اعتقدنا أنك رحلت عن عالمنا. لهذا كنت أصلي، عسى أن تفتح أمامك أبواب السماء.

الفتـــــاة كنت أسمع صراخكن.. ولم تكن لي رغبة للنهوض.. كنت أتمنى أن تفتح الأرض لا السماء.. الأرض.. ثم أدخل بهدوء، دون صلاتك هذه .. بل هكذا.. كما لو أنني.. كما لو جئت خطأ وعدت.

المـــومس (تضحك فتهرب السيدة إلى مكانها).

الـــسيدة ضحكتك هذه تذكرني بالشيطان.

المـــومس الشيطان.. أم أن جسدك يرتعش حين تقتحم مسامعك وترغبين بتقليدها "تضحك من جديد وتبتعد السيدة" ذهبت لتصلي

الفتـــــاة أنا خائفة.

المـــومس لا تخافي يا صغيرتي.. فماذا يمكنهم أن يفعلو بعد. مازلنا أحياء رغما عنهم.. لقد ضربوني بقوة وكنت أذوب بين أيديهم كالحلوى "تعيش اللحظة نفسها" أحدهم شدني من شعري والآخر أخذ يلسعني بالسوط والثالث أطفأ سيجارته في يدي،

والرابع حمل كتابا ضخما وأخذ يضربني به على رأس، والخامس لا أعرف بم كان يؤذيني.. وأنا الحلوة كنت أضحك.. أتقيأ، ثم أدعي أنني أذوب، وحين قال أحدهم لنخرج الجنين منها بقوة، دفعوا بأيديهم إلى ورفعوني فشعرت أنني أطير إلى سماء فضية كملكة للنحل. تطاردني الذكور. لتنفذ حكم الإعدام بي (تصرخ بقوة مستنجدة) يا واحدي الذي أحبه.

السيدة (تردد في خشوع وهي تسبح) يا منجدي الذي أريد.

المومس يا رجلا هوى معذبا إياي.

السيدة يا ملكا مدت له يداي.

المومس وهكذا شعرت أنني أموت من اللذة.

السيدة "تصرخ بها" اسكتي يا فاجرة.

المومس بل اسكتي أنت "تقف أمامها مستعدة للشجار" يدخل هو (تعود كل واحدة إلى مكانها).

هو أنتن أحياء.. هذا أمر مؤسف.. لماذا أقدمتن على الهرب.

السيدة "تشير إلى الفتاة" هي قالت.

هو "ينظر إلى الفتاة" أنت أيضا أمامي "يسحبها" ما كن عليك أن تفعلي ذلك، فلو استطاعت أي واحدة الهرب لانهار كل ما بنيته.. وربما كنت سأقتل بدلا عنها "الأخريات"، ما كان عليكن

فعل ذلك.. بعد أن "صمت" بعد أن حدثت المعجزة (كل واحدة تنظر إلى الأخرى بخوف واستغراب) لقد حدثت المعجزة ولابد أن تكون بينكن واحدة لها بركات من السماء، فقد جاءني بلاغ الآن يؤكد أنكن ستخرجن من هنا.

المومس حقا؟

هو نعم سنعيدكن إلى الحياة من جديد.. ونحن آسفون فربما تعرضتن لقليل من المضايقات.

المومس قليل؟ "تمسح بيدها بقع الدم المتبقية" قليل من المضايقات، قليل؟ (تردد) قليل من المضايقات.. قليل.. قليل من المضايقات.. أقل من القليل.. قليل من المضايقات ياربي (تتهار باكية) أبعد كل هذا.. تكون قليل من المضايقات.

هو كفى.. المهم ستخرجن.. ستغادرن هذا المكان.

المومس من هذا الرجل الذي يمنح الحياة كأنه.. "تقفز السيدة مقطاعة"

السيدة لا تشبهي هذا به.

المومس (بهدوء) ألا تسمعين؟.. هو يأخذ الحياة ويمنحها ويقلل من السعادة ويأخذ حصتنا من الرزق.. ويمنح الناس الحق بالحياة.. إنه..

السيدة (تقاطعها) لا تكلمى.. إياك.

هو كنت أظن أن صراخ الفرح سيرتفع عاليا حين أعلن قرار الرحمة

المـــومس (تقف أمامه بهدوء) أنا فرحة.

الـــــسيدة وأنا كذلك.

الفتـــــاة (تتقدم) وأ.. أ.. أنا فرحة.. جدا.

هـــــــو (يدفعها بعيدا) أنت لا تتدخلي.

الفتـــــاة (بانكسار) لماذا؟

هـــــــو ابتعدي (يدفعها بعيدا ثم يستدير للأخريات) ستخرجن قريبا.

المـــومس (تركض للداخل) سأحزم حقائبى.

هـــــــو ألديك حقائب؟

المـــومس أقصد أشياء.

هـــــــو ألديك أشياء؟

المـــومس سأحزم أي شيء.. سأحزم وسطي (تركض إلى الداخل فرحة)

هـــــــو إن قرار الرحمة مرتبط بشرط لكي واحدة. أساس الشرط أن نتعاون معا.

الـــــسيدة أنا على استعداد.

المـــومس (تخرج رأسها من بعيد) وأنا أيضا.

الفتـــــاة (تتقدم إليه) أحقا؟.. وأنا؟.. أبقى وحيدة؟ سأجن.

هـــــــو لا غرابة في ذلك (بهمس) بل الغرابة أن لا تسيري على خطى والدك.

المـــومس أنا جاهزة.

هـــــــو كما توقعت.. فأنت الأكثر شوقا إلى الحياة.

المـــومس لا شيء يعادل خروجي من هذا القبر.

هـــــــو لتعودي إلى الليل وإلى الأماكن التي غادرتها.

المـــومس (تصرخ بلذة) لكم اشتقت إلى مذاق الليل. (له) أين أكتب أني موافقة، قل بسرعة.

هـــــــو هنا.. "يظهر بعض الأوراق التي معه" وكل ما نطلبه منك هو أن تدسي السم لعشيقك الذي هرب.. هذا فقط هو ما نطلبه.

المـــومس "تتوقف" ماذا قلت؟

هـــــــو ستكونين بطلة وسنظهرك أمام العالم.. امرأة تنتقم لشرفها.

المـــومس (تتطلع إليه) أهو مهم لديكم إلى هذه الدرجة؟

هـــــــو نعم.

المـــومس الرجل الذي كان يبكي على صدري كالطفل.

هـــــــو هو الآن هدفنا الأول.. الأخطر والأهم.

المـــومس الرجل الذي قبلني ليخفي وجهه عن الشرطى.

[تدور غير مصدقة] أيعقل ما أسمع!؟

هـــــــو (يتبعها) لقد ابتعد.. بعد أن نجا بحياته، ولم نستطع الإمساك به.. ثم سمعه العالم وصدقه الكثيرون.. ونحن أمام الجميع لا نريد أن نكون قتلة.. وكل ما سيكون..امرأة انتقمت لشرفها.

المـــومس (بتهكم) وأين هو شرفي؟.. عندما كانوا يضربونني بقسوة هل

كانوا يدافعون عن شرفي؟.. عندما كان أحدهم يشدني من شعري.. هل كان يدافع عن شرفي؟.. عندما أطفئوا السجائر في يدي.. هل كانوا يدافعون عن شرفي؟ "تنفجر ضاحكة" أقسم أنكم رجالا شريفاء بل أشرف واحد فيكم من كان ينوي استخراج الجنين من بطني بقوة كما لو أنه يستخرج صخرة من بطن الجبل (تواصل ضحكتها) أيها الشرفاء.

هـــــو فكري جيدا.. قبل أن أسمع الرد.. "يغضب" هيا.

المـــومس نعم.. "تهرب" نعم.

الفتـــاة أحقا.. أ.. أحقا تفكرين؟

هـــــو "يصرخ بالفتاة" ابتعدي عنها.. "للمرأة" فكري يا عزيزتي.

المـــومس عزيزتي؟ "تضحك".

هـــــو وخذي هذه السيجارة.

المـــومس عجبا. أمس أعطوني سيجارة لكنهم أطفئوها في يدي.. واليوم سيجارة أخرى.. أهي ضمن الاتفاق؟

هـــــو كل شيء ضمن الاتفاق، حتى الكلمات، وكان عليّ أن أعطيك علبة سجائر كاملة إلا أنني قمت بتوزيعها على البعض ممن يسهرون على حمايتنا. فأنت تعرفين أننا بعيدون عن أي مكان.

المـــومس أشعلها "يشعل سيجارتها" أشعلني.

هـــــو "بغضب مكتوم" اذهبي من أمامي وفكري.. إما الحياة.. أو

الموت. هنا "يتركها ثم يتجه للسيدة"

هـــــو (مخاطبا السيدة) تعالي هنا.

الـــسيدة "وقد أنهت صلاتها" السلام عليكم ورحمة الله وبركاته السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

هـــــو وعليكم السلام.

الـــسيدة كنت أسلم على الملائكة.

هـــــو أنا واحد منهم، انظرى.. (يستعرض نفسه بوقاحة) جئت لأخرجك من هنا.

الـــسيدة الشرط.

هـــــو أن تسلمي لنا زوجك.

الـــسيدة لقد مات.

الفتـــاة نعم.. زوجها مات.

المـــومس اعترفت لنا بذلك.

هـــــو (للسيدة) نحن نعرف حقيقة الأمر فلا داعي للمراوغي، هو حي، ونريده، وحين تخرجين سيهرع إليك.. وعندها سنتكفل بما تبقي ولن نتعبك مثلها.

الـــسيدة أنا موافقة.

هـــــو اكتبي هنا "تهم بالكتابة".

الفتـــاة انتظرى.. عل.. عل.. عليك أن تفكر قبل أن تفعلي ذلك.

هـــــو لا تتدخلي يا حمقاء.

الفتـــاة علينا أن نفكر معا.

هـــــو "للفتاة" لا دخل لك في الأمر.. ولن تخرجي من هنا أبدا "يصرخ". أبدا: القوة هي الأساس الوحيد في حساباتهم.

الـــسيدة وهل أصبح الشيخ مهما إلى هذا الحد.

هـــــو زوجك.

الـــسيدة زوجى.

هـــــو حماقة أن تكون لنا زوجات في حين أنهم قادرون على أخذه في أي وقت.. ثم إنه ليس زوجك.. فلا توجد وثيقة تثبت ذلك وهو أحمق.. أحمق.. عليه أن يعرف ذلك. (يصرخ) لم تعد الثورة هي الوسيلة.. فالعالم لم يعد كما كان.

الفتـــاة الفكرة نفسها.

هـــــو لقد تحطمت الفكرة.. ولم تعد هناك فكرة نحتاج إليها، وعلى الجميع أن يؤمنوا بذلك إننا جميعا قتلة.. وجميعا أبرياء، علينا أن ندفع ثمن كل شيء، حتى بقائنا.

الفتـــاة البقاء أم الغباء؟

هـــــو ابتعدي.

الفتـــاة لم فعلت ذلك؟

هـــــو ابتعدي "يهرب".

الفتـــــاة لم؟ أريد سببا.. أي سبب حتى لو لم يكن مقنعا.

هـــــــو ابتعدي.. عودي إلى مكانك.. اجلسي، ولا تتحركي، فلو كنت مخيرا لتخلصت منك قبل أي فعل آخر.. الآن.. فما أنت إلا نقطة ضعفي في زمن القوة، والقوة عليها أن تأكل الجزء الضعيف فيها. (يخرج)

المـــومس لماذا أنت نقطة ضعفه؟

الفتـــــاة ل..ل لماذا أنت ستخرجين أولا؟

المـــومس ماذا كان يعني بذلك؟.. أنت نقطة ضعفه.

الفتـــــاة أتبيعين الرجل الوحيد الذي أحببته؟!

المـــومس أنا لم أقل نعم.. بل هى.. بعد أن ادعت أن زوجها قد مات.

الـــــسيدة نعم.. مات.. مات.

المـــومس ولكنه قبل قليل.. قال كلاما آخر.

الـــــسيدة إذه فهو آخر.. ماذا تريدين؟

المـــومس هل ستخرجين؟

الـــــسيدة نعم.

المـــومس تسلمين زوجك لهم؟

الـــــسيدة زوجي مات.

المـــومس ما هذه اللعبة؟

الـــــسيدة اتركينى.

المـــومس تعالي هنا. أنت عمياء.. سيأخذون زوجك.

الـــــسيدة لا أريد منك النصح.

المـــومس أنت امرأة مدعية، كيف يمكن أن تكون معنا.

الـــــسيدة هـذا جـسدي الـذي ترينـه، أمـا روحـي فهـي هنـاك (تـشير إلـى السماء).

الفتـــــاة لست مجزئة.

الـــــسيدة الروح ملكه.. أما الجسد فحطام يذبل.. وروحي يملؤها النور، رغـم أننـي أعـيش هنـا وسـط الظـلام، أمـا أنـت فـالظلام يمـلأ روحك، وهي (تشير إلى المرأة) تتمرغ في الطين الآسن جسدا وروحا "مع نفسها" لا تنظر إليها يا ملاك روحي، كي لا تحمر وجنتاك خجلا.

المـــومس (تهاجمهـا) أنـت مجنونـة، مدعيـة، متـسلطة وسـاقتلك قبـل أن تفعلي أي شيء.. سأقتلك (تطبق على رقبة السيدة) ستموتين.

الـــــسيدة (تصرخ)

المـــومس اصرخي ما تشائين فلن تنجي من بين أصابعي التي زادها الطين الآسن قوة (تصرخ) ضجرت منك.. اصرخي..

(تمـزق ثيـاب الـسيدة فتظهـر كمـا لـو أن فـي داخلهـا شـيطانا، تصرخ في وجه المومس.. الفتاة تهرب صارخة)

المـــومس لا أخاف كل ما تفعلينه.. وإن كان علينا أن نموت فأنت أولا.

السيدة (بصوت كما لو أنه صوت حيوان) أتعترضين على قتل رجل ميت سقط شهابه بعد أن حاول التلصص من نوافذ السماء.. ابتعدى.

المومس أنا لا أخشاك.. ولن أتركك حتى تموتي (تمزق ثياب الشيطان بيدها فتظهر المرأة في ثوب بسيط وتتغير روحها وصوتها إلى هادئ.. حزين)

السيدة لماذا تريدين قتلى.. إنني امرأة بسيطة.

الفتاة (تدور صارخة): يا إلهي، ماذا في هذه النفس! ماذا في هذه النفس

المومس (تتركها): من أنت؟

السيدة (تتحدث كأنها من حجر): امرأة تزوجت في القرى.. كان زوجي يغتصبني كل ليلة. وكان يملك بقرة، فعشنا معا.. أنا.. وهو .. والبقرة.. كنت أتحدث إليها (تتحدث إلى البقرة التي تستحضرها) أنا وأنت متشابهتان.. أنت تأكلين. تنامين، تعطين الحليب، وأنا كذلك. أنت يضربك عبد الحميد وأنا كذلك.. أنت يسوقك أمامه.. وأنا يتركني أركض خلفه.

ولأنهم يحيطون بك مباركين نكاحك فلم تشعري باللذة أبدا، أنا لم أشعر بها مع عبد الحميد، أنت ستموتين في الزريبة. وأنا في الغرفة المجاورة. أنت تبكين طوال النهار.. وأنا أبكي طوال

الليل، وقفت البقرة ونظرت إلي، وتساقطت من عينيها قطرات دمع ثم استدار وذهبت، هربت من تلك القرية المسحورة هربت وختفت.. وبدأت حكاية المرارة.

المـــومس يا للمسكينة.

الـــــسيدة أنا لست مسكينة.. وقد حزمت أمري.. سأذهب إليه.. إلى الواحد الذي سينصفني بعد أن توهج في روحي الضياء (تتغير طريقتها إلى هجومية) أما أنت فستبقين في الوحل.. في ذلك البئر الآسن.. مكان الرذيلة على الأرض.

المـــومس أنت أكثر من امرأة.

الـــــسيدة وأنت لست امرأة.

الفتـــــاة كفى.. كفى.. س.. سيأتي الغبي ليعذبنا.

المـــومس لا ترفعي صوتك إذن.. فقد يسمعك.

الفتـــــاة لا.. لا تخافى.. هو.. هو يعرف رأيي به .. ال.. ال..الغبي .. أنه.. ك.. كلب.. وقد سمع هذا منذ بداية سقوطه.

المـــومس أتعرفينه منذ زمن طويل.

الفتـــــاة (تتحدث بألم وبصعوبة "الآن.. بعد.. أن .. سيصرح لكما بالحياة.. وأ.. وأبقى أنا.. لابد أن أخبركما.. فقد رفض أن أكون معكم حتى لم يساومني على شيء.. لأنه "للمرأة" سأبقى لوحدى.. فهو.. يهددني بالقتل.. أن قلت ب.. بـ(تعجز..

وتتوقف ما أن يندفع "هو" إلى الداخل وقد كان يصغي إلى ما قالته الفتاة).

هـــــو ما هذا الصراخ؟ من كانت تصرخ؟

المـومس كنا نهمس لبعضنا.

الفتـــاة أنا.. أنا كنت أصرخ.. يا.. أخى

الموســم أخوك!!

الـــسيدة أخوك!!

الفتـــاة نعم أخى.. أ..أ أخي الذي قتل أخاه.. ودفع أباه إلى الجنون ولكن لحسن الحظ أنه.. أنه من أم أخرى.. أم تعمل مثلك لكنها لا تشبهك "تنظر إليه" الساقط يريد تمريغ الجميع بالوحل.. والـ.. الـ.. الكلب لا يخشى إلا صوت سيده.. ونحن.. نحن مجرد هدايا.. يقدموننا من سجن إلى .. إلى آخر.

هـــــو كنت أنفذ الواجب.

الفتـــاة فقتلت أخاك بيدك لم فعلت ذلك؟.. هل. هل رأيته يسقط (تبكي)

هـــــو نعم.. رأيته يسقط (مأخوذا إلى هناك يعتصره ألم مجهول).

الفتـــاة لم؟ .. لم لم تمت من شدة الحزن؟

هـــــو كدت أجن ساعتها وأنا أراه يسقط مع الآخرين أخي وأغمضت

عيني ولم أشعر إلا ويد الرجل الكبير تضغط على كتفي وهو يقول أحسنت.

الفتـــــاة أحسنت.. أ. أ.. أحسنت.

هـــــــو (يصرخ) أحسنت.. أحسنت.. أحسنت.. أنت منا وستكون في المقدمة دائما. وسيكون لك مستقبل كبير عليك أن تحرص عليه.. وتنفذ كل ما يطلب منك كي لا تخسر فأنت منا. أما هو.. وأشار إلى أخيك.. فقد أراد قتلنا جميعا. وأنا معهم. إذا لا يمكنه الوصول إليهم إلا بعد قتلي.. وهذا ما يعني أنه أراد قتلي بالفعل.. ولذلك كان علينا أن ندافع عن بقائنا.

الفتـــــاة أتعتقد أنه كان سيفعل؟.. كان بمقدوره قتلك وأنت في فراشك. نعم.. يقتلك في الفراش.. فأمثالك لا يقتلون في الساحات.. فهل تظن أنه كان يريد ذلك.

هـــــــو نعم.. نعم.

الفتـــــاة هو لم يكن يؤمن بما تدعيه.

هـــــــو أنت لا تعرفين.. فهناك من يدفعه.. يحثه.

الفتـــــاة لكنه.. لن.. لن يفعل.

هـــــــو (كما لو أنه يسرق في تلك اللحظة)

لقد ظل ممدا في الساحة لمدة ثلاثة أيام.. وأصبحت أنا رئيس الحرس بين ليلة وأخرى.

المـــومس تظهر باكية ياللفاجعة.. يا للفاجعة.

الـــــسيدة (تبكي أيضا) ياللفاجعة.

الفتـــــاة لقد منع كل الناس من التقرب إلى جثة أخي، وظل عاريا.

هـــــــو (يسرع للمرأة) لكنها جاءت يتبنعها أبي.. وحفرا قبرا وسط السحاة، وواراياه التراب، رغم أن ذلك كان عارا ودنسا ولا يقد على فعله إلا من أصابهم مس، إلا أنهما دفناه، ونهض أبي مجنونا وهي أخذت تصرخ، إن أمي فاجرة، وكنت مذهولا، وبغفلة سرقت السلاح مني وقتلت الرجل الكبير ولم أرها بعد ذلك الفتاة لقد.. لقد، لقد درت من سجن إلى سجي، ومن فحل إلى فحل.

هـــــــو أنا لست مذنبا.. وقد تسلقت المناصب بسرعة أثارت دهشة الجميع. كيف تريدين أن أتراجع؟. لا. لم تعد يداي ملطختين بالدم.. بل تمرغت فيه.

(يبقى وحيدا وتنسحب المومس لمواساة الفتاة)

(تقترب السيدة منه).

الـــــسيدة أحقا أن زوجي أصبح مهما؟

هـــــــو (بغضب) زوجك.. زوجك يحمل سيفا في هذا الزمن.. فبدا للعالم مجنونا لا يشكل خطرا..مجنون، يركض في الصحراء تتبعه بعض النسوة والأطفال، وآخرون نصبوا خياما سوداء.

وحرروا الخيل.. ولما أحاطوا به وأرادوا النيل منه بدا مقبلا على الموت لا مدبرا، طعنوه فلم يقتل. منعوا عنه الماء.. تفجرت حوله الينابيع.. فجن البعض واستماتوا حوله، العالم سينقسم إلى قسمين من جديد بفضل زوجك الساحر العنيد.

السيدة (ببرود): أنا سأقتله.

هو هذا ما اتفق عليه الجميع "يستدير ليخرج فيجد الفتاة أمامه".

الفتاة لا تكن قاسيا علينا يا أخي.

هو هذا المساء.. سأقتل أبي.

الفتاة (روحها ترتجف لسماع ما يعلنه) أبي؟ مالذي يدفعك لذلك؟

هو وما الفرق إذا تلطخت أيدينا بالدم.. أو غرقنا به.. سأقتله.

الفتاة أعرف أنك.. ل.. لن تتراجع.. ولكن.. لا.. لا تفعل.

هو هذه أوامرهم.. إنهم يهيئونني لأكون قائدا ولن أتراجع من أجل بقية المشاعر. علينا أن نقود القطيع يا أختي.. وعلي أن أقتل الرحمة بقلبي. إن كان لها بقية، هذا المساء سأقتل أبي سأذبحه.

الفتاة أنت.. أنت.. م.. مجنون.. فماذا يريدون من رجل عجوز يقضي أيامه في مستشفى المجانين.

هو هو لا يعني لهم شيئا.. إنهم يريدون تصفية أوراقي لتظهر بيضاء، وعلى أحسن وجه.

الفتـــــاة أرجوك.

هـــــــو لا تتوسل فقد انتهى الأمر.

الفتـــــاة إنه أبوك.

هـــــــو سيكون لي تاريخ آخر.. يذكر في الكتب، وأهل أبطال، غيركم وهـم حاضـرون فـي مكـان بعيـد. كـذابون مهـرة حتـى فـي مشاعرهم.

الفتـــــاة حسنا.. قل.. قل.. قل له إنني أسلم عليه.. و.. قل له إننا نكتشف أنفسنا داخل الورطة.. وقل له.. ما.. ما.. ما كان عليه، أن يتزوج المرأة الساقطة التي أنجبتك يا أخرى. (يخرج هو)

(ظلام)

## اللوحة الرابعة

**المكان نفسه**

**(نسمع بكاء الفتاة ثم تخرج حاملة جزءا صغيرا من بقايا شمعة)**

**الفتـــــاة** هذه.. هذه الشمعة.. حملتها معي.. منذ أن.. أن مات أخي "المرأة تشعلها" (الفتاة تضع الشمعة في الزاوية وتجلس أمامها) إنها الآن لأبي.

**الـــسيدة** ماذا سنفعل؟ هل سنخرج كما قالوا؟

**الفتـــــاة** وهل تثقين بهم؟

**الـــسيدة** هذا أمر نحدده.. أنا وهي "تشير إلى المرأة ابقي أنت مع أخيك أما نحن فسنطير إلى نهاية الأرض ونحط على البحر كالطيور.

**الفتـــــاة** (بنفس الهدوء وهي تبكي) مسكينة هي الطيور التى. تقطع الصحراء.. ثم تحط على البحر عط.. عط.. عطشى..

فتكتشف أن البحر من زجاج وأنها مصيدة.

المـــومس (للسيدة) طريقنا مختلف.. مختلف. لأنني سأذهب إليه.. سأبحث عنه.. ولكن لن أسلمه لهم.. ولن أمسه بسوء فهو رجلي الوحيد. أنا ولدت لأتزوجه وأنجب منه بعد أن تحملت كل تلك الوجوه الفاجرة والشوارع المظلمة لألتقي به.

الـــسيدة الرحمة.. الرحمة.. الرحمة.. فهذه المرأة ساقطة حتى النخاع "الفتاة تسحب قطعة خشبية وتحفر عليها".

المـــومس لكني لن أبيع الرجل الذي سأنجب منه.

الـــسيدة وما ذنبنا نحن؟ هذه فرصتنا الوحيدة.

الفتـــــاة الفرصة.. الفرصة الوحيدة .. هي أن نبقى نحاول الهرب.. نهرب من قبضتهم ثم نفعل ما نريد. (تدون فوق الجدار).

المـــومس وماذا تفعلين؟

الفتـــــاة أسجل الأيام التى.. بقيت لنا.. قبل مو..موتنا.

الـــسيدة أنا سأنجو، ولن أتحمل وزر ما يفعله الآخرون فعلى كل واحد منا أن يتحمل ما جنت يداه ولهذا سأخبره أنني موافقة (تندفع لتطرق الباب فتكتشف أنه مفتوح) الباب مفتوح.

المـــومس كان مذهورا آخر مرة.. وهو يذكر أباه.. وربما.. ربما..

الفتـــــاة أتعنين أنها.. أنها.. الفرصة "تخرج من الغرفة" غفلة من الزمن

المـــومس ما تحملناه كان قاسيا.. قاسيا ومرعبا.

الفتـــــاة هذا يعني.. أنا ندجن.. هذا ما أرادوا.

المـــومس أنا لن أتحرك.. ولن أفعل ما يريدون.

الـــسيدة وأنا أيضا "تسبح في نفس الزاوية".

الفتـــــاة (تركض لتخرج) وداعا.. عسى أن أصل إلى أبي قبله. الموسم صغيرتي (تتقدم إليها) ربما لن نرى بعضنا مرة أخرى.. وداعا يا صديقتي "تقبلها" وداعا.

الفتـــــاة (تقبل المومس ثم تتقد إلى السيدة) وداعا.

الـــسيدة الله يحميك.. الله معك..

الفتـــــاة إذا.. إذا مت.. لا تنسوا أنني عشت معكم.

المـــومس وإذا نجوت.. اذكري للعالم أننا هنا.. وداعا.

(تخرج الفتاة)

المـــومس عندما كنت صغيرة.. كان يعجبني أن أهرب من البيت.. وحين يغلقون الباب كنت أهرب من النوافذ وقد كان ذلك مجرد لعبة ألعبها مع المكان.. ومرة هربت من السطح فسقطت وانكسرت يدي ولكني أعدت المحاولة وقفزت إلى سطح الجيران.

الـــسيدة ما الذي كان يدفعك إلى ذلك؟

المـــومس ابن الجيران كان جميلا، ألم تقفزي السطح لأجل ابن

الـــسيدة الجيران؟

المـــومس لا.

الـــــسيدة لماذا؟

المـــومس لأنني كنت أخجل.. (تتذكر) لقد.

الـــــسيدة (تشجعها) نعم.

لقد قفز هو ذات مرة إلى سطح دارنا.. وتحدث إلى حتى

المـــومس الفجر، كان يدعوني لأهرب معه.. ولم يكن هنالك سبب

الـــــسيدة يذكر.

هي نزوة الحياة يا غبية.. وما كان عليك أن ترفضي.

رفضت.. وفي اليوم التالي جاء أيضا.. وقبلني.. ولا أدري كيف سقطت على الأرض فاعتقد أنني مت.. فهرب.. لكنني صحوت بعد فترة لأكتشف أنه لم يعد موجودا.. ولم أره بعدها إلا بعد أن كبرت وتزوجت عبد الحميد في تلك القرية المسحورة التي كانت تحيط بها القبور.. وتشم رائحة البخور في كل جوانبها.. رآني في الطريق ابن الجيران... فأوقفني وهمس لي مبتسما: ألا زلت حين يقبلك أحد تسقطين ميتة؟ كانت بقرة عبد الحميد معي.. فنظرت إليها، ثم أجبته وأنا أرتجف.. لقد تزوجت رجلا يدفعني للركض طول النهرا ويضربني ثم يغتصبني في الليل، قال لى: ولم يتغير صوته، أنت الوردة الجميلة التي بقيت على السطح رفعت البقرة

رأسها وبكت.. ثم ظلت تبكي طوال النهارات التي تلت، وتصرخ ليلا حين يغتصبني عبد الحميد أمامها وكان هو ينتشي بصراخ البقرة ويدعي انه يثيره ويسعده وطالما كان يردد إن البقرة زوجته الأولى.. وأنا الثانية.. حتى هربت البقرة كما قلت لك.. نعم هربت.. واختفت.. ظل عبد الحميد يضربني نادبا حظه ثم لم يقترب مني بعدها لأنه لم يعد يسمع صوتها.. حتى اختفي هو الآخر.. وقال الناس أخذته البقرة.. واصبح الأطفال يصفقون خلفي ويرددون غبية مسحورة.. مهجورة مجنونة.. (يكاد الألم يسقطها) جنون وطين وفقر واتهامات لا

المومس أكاد أصدقها والقذارة ملأتني وهزلت.. ثم لم أعد قادرة على

السيدة الحركة وجننت بالفعل.. حتى رأيته.

المومس زوجك؟

السيدة عالجنى. وأخذني معه.. وانتهى الأمر.

ماذا؟ ماذا تعنين؟ هل انتهت آلامك.

بل أدركت أن عبد الحميد كان أرحم إذ لم يكن لديه سواي

المومس والبقرة.. أما الآخر فقد متزوجا من سبع عشرة امرأة ولديه

السيدة ثلاث فتيات صغيرات عالجهن ثم أخذهن إليه.

هل كان يشفيهن حقا؟

كان غريبا وبغاربته تلك.. يسيطر عليك كليا.. ويقنعك ثم

يدعوك لتتبعينه.. يجعلك تحلمين أحلاما غريبة، فمرة حلمت أني أسير في الوحل.. وفي الصباح ذكر لي ما حلمت به ووصفه لي، فشدني إلى عالمه السحري.. ولم أعد أعرف إن كان ما يدور حلما أم حقيقة، وكان قادرا فعل ما يعجز عن خيال مجنون، حتى تشعرين أنه يقربك، في نفس الوحل حيث تعيشين.. يناديك ثم يسير أمامك إلى عالم مجهول ليلا وتتبعينه.. فلا رجاء لك غير ذلك.. ولا أمل لك إلا فيه.. وكان يدعو الله دائما.. ويقول الله أمامنا.. إننا ذاهبان إلى النقاء. وهكذا يطوف بك في الكون أياما وأشهرا حتى تكون مثل نعجة... تتبعه مستلبة.. لا تعرف هل شفيت أم لا..

المومس السيدة وفجأة يصرخ أنك شفيت.. ويذبح أهلك الذبائح... وينقض هو.. ليذبحك.

أتؤمنين به.

أنا أؤمن بالخالق الذي خلق كل شيء.. وأكاد أحس به قريبا مني.. وهذا هو المهم الآن.. الله.. هو المحبة.. هو الخلاص والصفاء والتسامح.. والحياة والطفولة.. هو في السر الذي يجعل كل شيء يتآلف مع أي شيء.. وسر التناسق من روحه.. وهذا ما لا يريده الشيطان.. فالشيطان هو الصراخ الذي لا يجعلنا نسمع لحن المحبة الذي يعزفه تآلف الأشياء

على الأرض، هذا ما أؤمن به وها أنذا أمد يدي وأكتشف أن الملائكة هي التي تصافحني ويهرب الشيطان كالشر.. تغسله أمطار الشتاء.. ويختفي في الكهوف المظلمة والبيوت المغلقة "صمت".

السيدة لقد حيرتنى.. نعم.. حيرتني (صمت).

المومس (تذهب إلى مكان الفتاة). لم تعد.. لم تعد.

السيدة ربما نجحت.

المومس كان علينا أن نذهب معها.. انظرى.. مكانها فارغ.

السيدة إنها هناك.

المومس أين؟

السيدة في مكان ما.. يراها هو.

المومس وربما بين أيديهم "يسيطر عليها الخوف تدريجيا".

السيدة أو.. ربما هي الآن تركض نحو خلاصها.

المومس أشعر بالبرد.

السيدة هذا لأنك تفتقدين جزءا منك.. كما يبدو.

المومس (تتحرك قلقة) أين.. أين اذهب "تدور غير مستقرة".

السيدة اجلسى.

المومس ماذا أفعل.. ماذا أفعل "تدور".

تعالي نعد على أصابعنا الذين ماتوا.

تذكرت.. هذا ما كان يقوله الرجل الذي كان معي.. نعم بالضبط، ما قلته الآن، نفس الكلمة كان يقول في ساعات اليل المتأخرة: لماذا حين نكون عاريين أنا وأنت نجهش بالبكاء بعد أن نعد على أصابعنا الذين ماتوا. ألم نكتشف أن

السيدة أصابعنا لا تكفي؟ آه.. الآن أفهم الآن أفهم ذلك الآن.. الآن

المومس كم كان حزينا "تدور بسرعة".

السيدة اهدئي..

المومس أنا هادئة.

أنت ترتعشين.

(تقفز مأخوذة خائفة مترددة) أنا خائفة.. أشعر أن.. أن..

أنا شيئا.. مني.. قد انفصل عني.. أو أنه على الحافة.. نعم حافة

السيدة الهاوية..يا إلهي.. أين أراها (تصرخ فجأة).

المومس أريدها يا ربي.

السيدة (تمسك بهها) اسكتي اسكتي .. ولا تضاعفي خوفنا.

المومس أين هي يا رب؟ بين أيديهم أم تحلق في سمائك؟

السيدة أنا متأكدة أنها ستكون بخير.

المومس حقا.. أخبريني كيف.. كيف "تصرخ".. كيف..

قلبي يطمئنني.

قلوبنا تخدعنا.. هذه هي المشكلة.. قلوبنا تخدعنا حتى مع

من نحب.. فتعطي كل ما لدينا. إلا أنه يهرب تاركا إيانا كأوراق تتساقط في خريف "تصرخ" أين هي الآن.. من يطمئنني؟ كيف تركناها تذهب وحدها، المسكينة قالت وداعا،

السيدة أسمعتها؟ قالت وداعا.. وداعا.. كان عليّ أن أقبلها ألف

المومس قبل.. ألف قبلة لا تكفي لوداع من أحببنا.. لا تكفى.
بخوفك هذا تنعرضينها للخطر..

السيدة وإن كانت الآن معلقة بين السماء والأرض.. مجرد رقم في

المومس الهواء يجلده السفلة.

السيدة اصمتى.

المومس سأجن (تصرخ) سأجن..

السيدة اصمتي.

المومس وإن كانت تذوب الآن كالحلوى بين سياطهم (تبكي).
كفى.

السيدة وإن كانت الآن تجلس فوق الخازوق أو وتدخل غرف الرعب

المومس دون خلاص.

المومس سأخنقك يا فاجرة إن لم تسكتى.

السيدة أنا خائفة.. خائفة (تمر فترة صمت قاسية).
(تقفز) أنا خائفة جدا يا إلهي.

السيدة لا تخافي فالملائكة إليها... وتحرسها هى.. فمن يدري أين

المـــومس تكون الساعة، وماذا يحل بها الآن؟

الملائكة مع الجميع.. كفى هلعا.

إن كانت بين أيديهم الآن فهي بحاجة إلى الرحمة.. إلى

الـــــسيدة الملائكة إلى قلوبنا.. إلى أي شيء "تبكى" لتذهب الملائكة

المـــومس إليها.. إليها.

أنت طيب القلب، وهذا مالم أعرفه من قبل.

ليذهبوا إليها.. وليطفئوا أنوار السماء كي لا يراها الحرس

(تجهشان بالبكاء وتتوارى كل واحدة منكمشة)

الـــــسيدة (موسيقى توحي بحلم في حين أن الإنارة تضيق تدريجيا كما لو أنها تأخذ بنا إلى باطن الأرض).

(في الحلم.. تنحدر إلى عمق ذاتها أو تغوص في الأرض)

إننا نهوى.. ننحدر.. نسقط.. هذا الجزء من الأرض يغوص

الـــــسيدة إلى الأعماق.. الأرض تبتلع هذا الجزء.

(يبتعد مصرد الضوء تدريجيا)

هناك ثقب كبير، هوة ساحقة.. شيء ما يختفي ويسحبنا.. الأرض تبتلعنا.. وليس هنا غير نهر يغلي على حيتان وضحايا.. نور الشمس.. (تصرخ) أيها الأحياء (تصرخ إلا أن صوتها قد اختفى لكنه ما يلبث أن يعود من جديد).

الهوة تضق عليّ، وتطبق على روحي

(كما لو أنها تقاوم الأرض التي تطبق)

(صوت قطرات ماء) على رأسي إيقاع قطرات الماء.. إنهم يدفعون بنا إلى الجنون. هذا لم يحدث لي، بل له.. اختلطت

المـــومس الأشياء. اختلطت..

(في الزاوية المومس في الحلم تطير يلفها رداء طويل ملون).

أنا أطير بلا قرار كما لو أنني سكرى.. لقد فقدت اتزاني..

الـــــسيدة والفراغ يأخذني (تصرخ) يا حارس روحي اتبعني إلى الحياة التي لم نعشها.

(لم يبق لها سوى زاوية ضيقة، فكل شيء يطبق عليها) الهوة تضيق بي وتنكمش.. الهواء يختفي. يتلاشى.

المـــومس (صوتها لم يعد مفهوما بل كصوت ثور يذبح)

وجسدي يثقل.. يودع روحه.

(في الحلم كما لو أنها تطير في فزع) ما أبشع أن نطير بلا

الـــــسيدة أرض

المـــومس (صوتها مفتوح حتى مداه).

الـــــسيدة (صوتها) ما أبشع أن تلتف علينا الأرض كالأفعى.

المـــومس (في الحلم) ليس لنا جذور.

الـــــسيدة روحي تهفو للطيران.

المـــومس (في الفضاء.. فضاء الحلم) الفضاء من زجاج.

السيدة (تئن) القبر من حجر.

المومس الهواء يدفعني للأعلى.

الأرض تطبق عليّ.

السيدة السماء ليس لها حدود.. والريح تمزق صدري وتبعثرني.. أنا أصبح كالهواء لا وجود لي.

أنا حجر.. لا وجود لي.

المومس (المومس والسيدة تصرخان معا صرخة طويلة).

السيدة (ينتهي الحلم وقد استنفذت كل وواحدة قواها)

المومس كنت أحلم.

السيدة كنت أحلم

المومس أنت هنا أم في الحلم؟

السيدة كيف أستطيع التأكد من حقيقة وجودك؟

المومس أنا خائفة.. خائفة.

السيدة لقد اختلطت الأمور.

المومس لماذا حتم علينا الموت.. لماذا؟

السيدة لماذا نحن؟ (تدوران وتهذيان بالأسئلة).

المومس قطرة دم بريئة على الأرض.. تكفي لإثبات فساد الحاكم.

السيدة قطرة دم على الإسفلت.. تكفي شاهدا بريئا على الجريمة.

المومس انهمر يا مطر السماء لتغسل أرواحنا.

انهمر.. انهم يا مطر السماء.

السيدة يا إلهي.. نحن أبناء الحدائق العامة.. والشوارع العامة

المومس والسجون العامة.. نطلب الرحمة..

لا تصرخي.

السيدة كم مضى علينا؟ كم مضى علينا ونحن ندور هنا؟ لا ندري ما

المومس ننتظر وما ينبغي علينا فعله.

السيدة لم أعد أعرف.

المومس أشعر أنني سألد الآن.

السيدة لقد تعفنا هنا.

المومس كان علينا أن نهرب معها.. وننجب أطفالنا فوق الحقول.

السيدة لن نهرب مثلما فعلت.

المومس ولن نعطيهم ما يريدون.

السيدة نعم.. لن نعطيهم.

سنقف مثل العصا ولن نعطيهم أزواجنا.. وسنهرب.

هيا.. بسرعة .. لننجو مثلها.. هيا.

(تركضان باتجاه الباب إلا أنه يفتح بهدوء قبل وصولهن.

المومس فيتراجعن إلى الخلف في ذهول).

السيدة (تدخل الفتاة. ممزقة وقد حلقوا لها شعر رأسها. حافية)

المومس أهذه هي؟!

**الفتـــــــاة احذري.. فما هذا إلا شبح.. لا تقتربي منه.. إياك.**

**إنها هي.. انظري إلى عينيها.. هي.. هي.**

**(تتكلم بصعوبة بالغة) لقد.. لقد أمسكوا بي ثم سلموني للأسود الصخم المجنون.. فأكلنى.. (تسقط).**

**(تصرخان معا)**

**(ظلام)**

## اللوحة الخامسة

**يضاء الباب.. أصوات طرق بعيد ثم يفتح تدريجيا.**
**يدخل هو يحمل كيسا.. تتساقط منه قطرات دم.**

**هـــــــو أين أنتن يا فاجرات.. (لا أحد)**
**"يصيح" أين أنت؟**
**"يظهرن أمامه وقد أمسكن ببعضهن كي لا تسقط الفتاة".**
**المـــومس ما الذي فعلتموه بهذه المخلوقة؟**
**هـــــــو هل أخبرتك شيئا؟**
**المـــومس لا.**
**الـــــسيدة الشيطان أفزعها.. لا أحد غير الشيطان.**
**لا أحد غير الشيطان.**
**هـــــــو ماذا جرى؟.**
**المـــومس (تتقدم إليه) أهذه أختك.. لماذا تسكت؟ انظر ماذا فعلوا بها**
**هـــــــو لقد نصحتها أكثر من مرة.. ولكنها عنيدة.. طائشة.. تعتقد**

أن العالم كما كان من قبل، وأنها قادرة على أن تجد فيه ثغرات يمكن أن تهرب منها. (ينظر إلى الفتاة) انقلب كل شيء ففي يوم وليلة نستطيع إعادة الأرض الإنسان إلى البداية.. نمحو ذاكرة الشعوب كلها.. وذاكرة الأشجار والجبال..

(يخاطب الفتاة) فمن أنت أيتها القملة الصغيرة التافهة حتى تسببي لي الضعف.

المومس

أهذا كل ما يهمك في الأمر؟.. أهذا كل ما حركته في داخلك هذه الجراح!

هو

"يصرخ بها" أنا ابنهم.. عاملهم الوفى.. قائدهم المستقبلي الذي يتعبون لأجل إعداده.

الفتاة

تتقدم وتبصق بوجهه

هو

هذا ما عرفته.. (يبتسم) خذي هذا الكيس.

المومس

ما هذا؟ فيه دم. احذرى. فيه دم (الكيس يقطر دما بالفعل).

هو

لقد أوتني لأبيها ثلاثة أمور. وكان عليّ أن لا أنساها. أن أسلم عليه.. وأن أخبره أنها تكتشف نفسها داخل الورطة.. وأنها تأخذ عليه أنه تزوج أمي الفاجرة.. فكتب لها رسالة.

المومس

أين هي؟

هو

في يده.

المومس

هـــــــو يده؟ يده..

(يضحك ببلادة) قطعت يده التي تمسك الرسالة وجئت بها

الفتـــــاة لأختي الصغيرة.

الـــــسيدة ي.. ي..يده (تنهار).

هـــــــو أنت تشوه الحياة (تمسك بالفتاة).

(يدفعها) ابتعدي (للفتاة) هذه يده تمسك بالرسالة. اقرئيها..

المـــومس اقرئيها.

هـــــــو لا أعتقد أنها بحاجة لقرائتها.. يده تكفي.

والآن اذهبن من أمامي يا فاجرات.. "يصيح" هيا.

هـــــــو (المرأة والسيدة تساعدان الفتاة).

(يعترض طريق المرأة) تعالي أنت

(السيدة والفتاة تواصلان الانسحاب).

المـــومس لقد عرضنا عليك أمرا.. وأنا أنتظر الإجابة

هـــــــو لن أسلمه لكم.. ولن أقدم له السم.

المـــومس (بهدوء) الفئران لا تقدر قوة المصيدة.

هـــــــو الألم ينتهى.

المـــومس والحياة.

هـــــــو هي الأخرى تنتهى.. ولكن كيف؟.. هذا هو المهم.

(بعصبية) أريد لقبضة يدي أن تسع السماء.. وإن لم تطلها

سأمزق شرايين يدي.. ثم أحاول ضغط السماء. أفهمت.

المـــومس تعالي معي (يسحبها)

هـــــــو اترك يدي.

تعالي "يدفعها أماه ويخرج".

الـــــسيدة (تظهر السيدة والفتاة).

لقد أخذها الشيطان. أخذها. ماذا أفعل الآن. يا إلهي، ماذا

الفتـــــاة أفعل.

الـــــسيدة مات طفلي.

الفتـــــاة "تصرخ باستنكار" لا.. لا "تركض" الرحمة.. الرحمة يا إلهي.

الـــــسيدة لقد مات.. مات (صوت صراخ الأمس).

الفتـــــاة لنصرخ نحن أيضا كي لا تشعر المسكينة بالوحدة. اصرخي.

ليتني أستطيع.

الفتـــــاة (صمت يطبق على المكان) هل كفوا عن تعذيبها؟

الـــــسيدة أجسادنا.. أجسادنا تتطبع.

(بهلع) سيأتي دوري، سيأتون إليّ، سيأتون إليّ، أنا، أنا المسكينة البقرة، لا، أنا، لا، العصافير تضرب بأجنحتها النوافذ المغلقة دون جدوى.. انتبهي سيأتون إليّ.. جسدي على حافة الـ(تصرخ).. جسدي يرتعش.. أنا، موافقة، سأقتله. سأقتله كما يريدون. (للفتاة) ألا تعترضين كعادتك، اتركي يد

والدك. ألا تعترضين؟ أنا سأقتله كي أنجو بنفسي. ولتحكم العاصفة الجميع ولتطبع على الأرض بحارها. فتغرقها بالدم.. ألا تعترضين؟

السيدة (تحركها فتسقط الفتاة.. لقد ماتت).

ماتت وهي تصافح يد أبيها.. ماتت العصفورة.. ماتت.

والأخرى سكتت.. وسيأتون..سيأتون. "تصرخ" يا منجدي

[موسيقى توحي بموكب جنائزى]

(من العمق تظهر المومس ملابس بيضاء، مكبلة، وقد قطعت السلاسل. لكنها ما تزال في معصميها. وفي قدميها)

(الرداء الأبيض الملطخ بالدم هو كل ما بقي على جسدها

السيدة الذي مزق تماما.. وقد أسقطوا جنينها)

المومس (تتراجع أمامها).

(تكاد تسقط) لقد رأيت ملاكا.. كان ينظر إليّ من النافذة ولما انتزع ابنتي لم تمت لأنه انتشلها وأخذها إلى سماء بعيدة.. فاختفت من بين أيديهم.. وستأتي مع من سيأتي من حقول القمح.. غدا سنكون معا ولن يعذبنا أحد. لأن الله لن يعذب المعذبين في الأرض.. ستسبقنا الملائكة بأناشيد لم نسمعها من قبل.. وسيذكرنا الجميع.. أنا متأكدة.. سيذكروننا ولن ينسوا لقد ولدنا داخل الورطة كما قالت المسكينة (تشير

السيدة للفتاة).

المومس لقد ماتت.

كما نؤمن أننا سننجو.. ليرحمنا الله جميعا.. ولكن لن أنسى أنه قبلني ليخفي وجهه عن رجال الشرطة.. وأننا سنلد الثور

السيدة الذي هربت ابنتي لتلقاه.

البقرة تلد على ثوب القمر ثورا لا يستطيع الحاكم قتله.

المومس "تصفق لنفسها وقد جنت".

السيدة أين عقلك؟

"تقفز مجنونة" سرقه الشرطى، أنا لم أقفز سور السطح لألتقي به.. وهي ماتت... وأنت.. يا للعذاب. يا للعذاب (تصرخ)

المومس لمن سنلد؟ ولماذا ندفع بهم إلى هذه التجربة القاسية.

غدا ستأتي ابنتي معهم. وابنك، فلا تنسي أن تخبريهم عنا، عليهم أن يذرفوا دمعة، بل دموعنا على جدران السجون، لا تنسي، تذكر الحمائم، والحلوى التي ذابت بين أيدي السفلة.. والحياة التي لم نعشها كما نريد، لا تنسي أنهم سفلة، ولا تنسي ما رأيته.

السيدة "تموت".

(تحدق بالمجهول وبصمت شديد حتى يسود الظلام).

(انتهت)

# الهشيم

**{يا أمى ..**
**رأيت طائرا أعرج.. ركض الأغبياء ليمسكوا به لكنه طار لقد نسوا أنه يستطيع الطيران.**
**أنا ذلك الطائر}**

**(مسكين من يحيا.. ورقة بيضاء يضع عليها الآخرون أختامهم)**

**من المسرحية**

**الشخصيات:**

**الأول عينه نافذة تطل على جرح في روحه...**

**الثـــــانى ضخم.. ردة فعله سريعة..**

**الثالـــــث هادئ.. يتلعثم.. يتردد قبل أن يتكلم.. يتحول فجأة إلى رجل قاس.**

**المـــــرأة أحيانا تبدو وقد أصابها الجنون.**

**المكان**

**بقايا مكان..**

**لا ملامح محددة... ليس سوى أريكة انتظار في وسط المسرح.. وكل ما حولها.. فضاء تركت عليه بصمات مصمم اختزل رؤياه ببقايا أشياء لهياكل تحطمت. ومر عليها زمن.**

## اللوحة الأولى

**تتضح الرؤيا تدريجيا.**
**يخرج الأول، وكأنه خارج من العاصفة. يقل على الأريكة ينظر إلى كل الاتجاهات ثم يجلس عند الحقيبة الكبيرة التي يسحبها بصعوبة تخرج المراة.. تحمل بقايا جمجمة.. تنظر إلى كل الاتجاهات ثم تعود إلى مكانها وهي تشعر بالخيبة.**

**الثالث ما إن يدخل ويراهما حتى يخرج.**
**يدخل الثاني ويجلس على الأريكة في المقدمة قرب الأول.**
**(الجميع يرتدون معاطف قديمة. أو بقاياها)**

| | |
|---|---|
| **الأول** | **(ما زال ينظر إلى البعيد).** |
| **الثـــــاني** | **(يقترب منه بحذر) هل مرت العربة؟** |
| **الأول** | **هل أنت واحد منهم؟** |
| **الثـــــاني** | **(ينظر بعيد) الزمن سيصلح الأمر.** |
| **الأول** | **ستأتي العربة.. من هذا الاتجاه.** |

| | |
|---|---|
| الثـــــاني | وربما تأتي من هذا الاتجاه.. (يشير إلى الاتجاه المعاكس) |
| الأول | لا... لا.. ستأتي من هناك. (تبدو عليه الثقة) |
| الثـــــاني | ولكنهم قالوا |
| الأول | لا تصدق أحدا. |
| الثـــــاني | (يتأمله) ولماذا أصدقك؟ |
| الأول | لأنى.. لا أحد. (يشير لرأسه) ولا شيء هنا (يضحك) ستأتي العربة من هذا الاتجاه لتأخذنا (ينظر إلى البعيد) لابد للإنسان أن يقي على علاقة بشيء ما، هذا ما حكم به علينا |
| الثـــــاني | من حكم على من؟؟ |
| الأول | هم. |
| الثـــــاني | من؟ |
| الأول | ليس مهما.. ولكنهم أشاروا إلى الساعة. وحين صحوت، أدركت أن الزمن قد مر. |
| الثـــــاني | لا أحد هنا (يتلفت ثم يجب على سؤال طرح في داخله) نعم. لا أحد. |
| الأول | لا أدري.. ربما. |
| الثـــــاني | إذن أنت من كان يجلس هنا، طوال الوقت؟ ثم جاء رجل.. لم أشاهد ملامحه، حملك بعد أن بقيت ممدا على هذه الأريكة لشتاء كامل. |

| | |
|---|---|
| الأول | كنت أنتظر.. وستأتي العربة من هنا. |
| الثـــــاني | بل من هنا.. |
| الأول | وإن وصلت من هذا الاتجاه.. ألا نذهب معهم؟ |
| الثـــــاني | " (يفكر) سأذهب.. ليس مهما إلى أين، بل المهم أن أغادر هذا المكان. |
| الأول | إذن.. انتظر هناك.. وأنا أنتظر هنا.. (يركض الثاني مبتعدا) |
| الثـــــاني | وإن جاءت عربة من هذا الاتجاه.. وأخرى من الاتجاه المعاكس واصطدمتا.. فهل يبقى أمل؟ |
| الأول | لا أظن (آلة الكمان تعزف لحنا حزينا). |
| | (تخرج المرأة حاملة الرأس، بقايا جمجة.. تجلس على الأريكة هي الأخرى ثم تضع رأسها إلى جانبها). |
| المـــــرأة | هل ستأتي العربة؟ |
| الأول | تتكلمين معي؟ |
| المـــــرأة | لا (تشير إلى الرأس) معه. |
| الأول | من هذا؟ |
| المـــــرأة | ابني. |
| الأول | لماذا تحملينه؟ |
| المـــــرأة | ميراث المأساة، وعليّ أن أعيده لقد ظل جسده هناك بعد أن خرجت من العاصفة. |

| | |
|---|---|
| الأول | أنا خرجت من الدخان. |
| الثـــــاني | (يقدم لها نفسه) أنا خرجت من الضباب. |
| الأول | ما زلت في الدخان |
| المـــــرأة | مازلت أدور ولا أعرف أين أنا؟ (ترفع رأس الطفل) العاصفة تطارده وأنا أطارد أباه وحين وجدته، أضعنا الطريق (تشير إلى الرأس) لابد أن أعيده إلى الجسد، نعم سأعيده حتما (الأول يتطلع إلى الثاني بهدوء) |
| الأول | (للثانى) هل أعرفك؟ |
| الثـــــاني | (ينظر إلى المرأة). |
| المـــــرأة | لا أظن.. فأنا خرجت من العاصفة. |
| الثـــــاني | وأنا خرجت من الضباب؟ |
| الثالـــــث | (تشير للرأس) وهو خرج.. هكذا.. رأس أفزعته المأساة. |
| الأول | (للثانى) ولكن قبل الدخان والعاصفة والضباب.. ألم نلتق؟ |
| الثـــــاني | كل من التقيت بهم كانوا بشرا. |
| الأول | مادمت تتكلم بهذه القسوة. فيخيل لي أن.. |
| الثـــــاني | لقد مر زمن عليّ وجودي هنا، سنوات طويلة وثلاث وأربعون ثانية |
| الأول | ماذا تعني؟ ولماذا هذه الثوان. |
| الثـــــاني | هي الأساس. |

| | |
|---|---|
| المـــــرأة | أنا خرجت من العاصفة. (تشير إلى الرأس) وابني نسي جسده فيها. لكنى.. أضعت.. ذاكرتي (تبتعد إلى الزاوية) |
| الأول | يبدوا أنها لا تأتي (صمت) العربة.. يبدو أنها لن تأتي. |
| الثـــــاني | لما لا تنادي.. علهم ليسمعوا؟ |
| الأول | (يمثل الصراخ بلا صوت) |
| الثـــــاني | ماذا تفعل. اصرخ اصرخ. |
| الأول | لقد مللت الصراخ، صرخت كثيرا، صرخت بما فيه الكفاية، فمن ولادتي ولحد الآن وأنا أصرخ لا جدوى ومع ذلك.. سأصرخ الآن.. عل أحدا يأتي على أحد يسمع. |
| الثـــــاني | إذا كان من سينقذنا رجلا.. فأنا أرفض. |
| الأول | أتحب النساء؟ |
| الثـــــاني | المأساة جعلتنا لا ندري ما نحب.. |
| الأول | قلت لأمي ذات يوم.. أنا طائر أعرج.. ركض الأغبياء ليمسكوا به لكنه طار.. لقد نسوا أنه يستطيع الطيران.. أنا ذلك الطائر. وهكذا خرجت من الدخان. |
| الثـــــاني | لم أفهم. |
| الأول | أمي قالت ذلك أيضا.. لم أفهم. |
| الثـــــاني | ولكنني رجل.. وعقلي واسع جدا.. من هنا.. إلى |
| الثالـــــث | (يقاطعه) أسمع صوت عجلات. |

| | |
|---|---|
| الأول | اسكت. (يصمت) |
| الثـــــاني | صوت عجلات؟؟ |
| الأول | يصغى عربة تسحبها أيائل. |
| الثـــــاني | لا.. لا.. ربما حشرة تعدو في مكان ما. |
| الأول | ما أدراك.؟ |
| الثـــــاني | لا أعرف ولكنني متأكد.. لأنها الحقيقة الوحيدة.. الدود هو الحقيقة الباقية. |
| الأول | تذكرت.. هذه الكلام. كنت تقولها على الدوام وتضحك.. كيف تدعي أنني لا أعرفك؟ |
| الثـــــاني | قلت لك لا أعرفك (يرددها بجنون) لا أعرفك.. لا أعرفك. |
| الأول | هل أنت متأكد؟ |
| الثـــــاني | لا لم أعد قادرا على تذكر كل شيء فسنوات طويلة كافية (يتهرب) لم لا تصرخ؟ علهم يسمعون صراخنا. (يصرخ لوحده) ها.. يا من هناك نحن هنا.. (للأول) ماذا أقول؟ أين نحن؟.. في السجن أم ماذا؟ ماذا يمكن أن تسمي هذا المكان؟ ما تبقى؟ ليكن (يصرخ من جديد) نحن هنا فيما تبقى من ال.. نحن هنا هيا.. |
| الأول | (يشاركه) نحن نموت هنا. |
| الثـــــاني | نحن هنا ولسنا في كوكب آخر. أتسمعون؟ |

| | |
|---|---|
| | (يواصلان الصراخ) |
| | [يندفع الثالث بكل قسوته إلى المكان كأنه مجنون. يقف أمامهما حتى يتوقفا عن الصراخ.] |
| الثالث | أيها الأغبياء.. دعوني أفكر عسي أن أجد الطريق. |
| الثاني | الطريق على الأرض. |
| الثالث | (يفرح) بل هنا.. في رأسي. |
| الثاني | وهل يسع رأسك كافة الطرق؟ |
| الثالث | اسكت. |
| المرأة | زوجي.. هل وجدت شيئا. |
| الثالث | تراجعي. |
| المرأة | هل وجدت الطريق؟ |
| الثالث | أنا أبحث عن طريق آخر غير الذي تريدين، وسأختفي وأخفي أثري كي لا تتبعيني أيتها المجنونة |
| المرأة | وابنك؟! |
| الثالث | أنا لا أصلح أن أكون أبا.. ولا زوجا. ولا أصلح لما تريدين أبدا، بل لا أصلح لشيء. ولا أريد إلا أن أبقى وحيدا. فالعاصفة لم تبق في صدري غير الحطام. |
| الثاني | أنت تشبهني. |
| الثالث | لقد سرقوا مني شيئا، لا أستطيع تحديده، لا أعرف ما هو، |

| | |
|---|---|
| | لكنه أفقدني صوابي. |
| الأول | من فعل ذلك؟ |
| الثالـــــث | هم؟ |
| الثـــــاني | أنا أعرفهم.. (بهدوء) كنت بينهم. |
| الأول | هذا يؤكد أنني أعرفك. |
| الثـــــاني | قلت لا. |
| الثالـــــث | اصمتوا وإلا قتلتكم جميعا. الآن (يرفع بيده قضيبا حديديا، فيصمت الجميع) هذا أفضل.. أما الآن فلنطفئ القمر. |

(ظلام)

## اللوحة الثانية

**[يبدو أن الزمن يمر سريعا وأن العاصفة تدور لا شيء هناك.. يزحف الأول ثم الثاني إلى الأريكة]**

**الأول** لم تأت العربة.

**الثـــاني** لم يأت أحد.

**الأول** ولم كنا ممددين على الطريق؟

**الثـــاني** لقد رموا بنا.

**الأول** كنا أمواتا.. ومع ذلك فقد حلمت.

**الثـــاني** وهل يحلم الميت؟

**الأول** من يستطيع الإجابة على ذلك(صمت) هل سنبقى ننتظر؟

**الثـــاني** يبدو أن علينا أن نتكيف مع ما هو حاصل لا محالة.

(ينهض الأول متأملا)

**الأول** تكيفت دائما.. تكيفت على الدوام.. انحنيت لأتكيف.. وخسرت الكثير كي أتكيف. (يخرج ورقة يقرأ) إن القرن الذي

عشنا به وتسلقنا زمنه لم يكن إلا ضحية نفسه، ومع ذلك قمنا بعملية التكيف رغم أنه قد اندفع كالمجنون.. وقتل في طريقه الملايين.. الملايين، حتى شاخ وها هو يتمدد أخيرا على فراش الموت مودعا.. يبكي لقد شاخت أوصاله، وانتشرت السموم في جسده وأكلت التجاعيد محياة... حتى أصيب بالهذيان. ولم يعد أحد يعرف ماذا يصدق من تاريخه وما يقصه علينا.. نحن الذين شربنا كأسه المسمومة حتى النهاية.. ولم نعش اللذة التي عاشها البعض.. سنقف في النهاية هكذا (يقف بطريقة مضحكة) لتجيب عن الأسئلة رغم أننا لم نعرف شيئا ولم نحي ولم نشاهد (يتحسس كل واحد منهم ما يقال) إننا نتسابق للموت، ومع ذلك ربما ستأتي العربة لتنقلنا بعد أن شربنا الكأس المسمومة.. تنقلنا من هذا الحطام فهو يحترق كورقة.. ولم يعد صالح. فما إذا يمكن أن نكتب فيه بعد؟.. كيف نسطر انتصاراتنا على الرماد؟ إنها بقايا الدخان، بقايا العاصفة.. بقايا الحريق. (يرمي الورقة.. يجلس مواصلا البكاء)

الثـــــاني لم تبك.. وهل يستحق بكاءك؟ توقف.. لماذا تبكى؟

الأول لا أعرف.

الثـــــاني (يصرح) ومن يعرف إذن أيها الغبى؟

(يقفز الأول لمواجهته)

الأول ألا أعرفك؟

الثـــــاني إذا كنت لا أعرفك، فكيف تعرفني؟ (يتلمس وجهه وكأنه يقف أمام مرآة) لأنك كنت شخصا واحدا.. أما نحن فأرقام لا أكثر.

الأول هذا بالنسبة إليك.

الثـــــاني ماذا تعني؟

الأول هذا الوجه.. هل تنساه.. (صمت) نعم أعرفك وهذ قبضتك هذا هو أنت إذن (يهرب إلى الزاوية)

(يتظاهران بالعمى ويدروان في المسرح)

الثـــــاني لماذا تهرب؟

الأول لأنني عرفتك فعلا.. هذا هو أنت.

الثـــــاني وهل تهرب عندما تتعرف إلى أحد؟ (يبدو أن)

الأول احذر.. لا تقترب مني.. أنا لم أفعل شيئا لا تقترب (يصرخ) هذا أنت.

الثـــــاني من تقصد؟

الأول الشخص الذي في ذاكرتى.

الثـــــاني: وكيف أعرف الشخص الذي في ذاكرت لأخبرك إن كنت هو أم لا؟!

الأول هو شخص واحد، والأجسام المعلقة كلها أرقام.

الثـــــاني ماذا تنعي؟

الأول ألا تذكر ضحاياك؟.. إذا كنت قد نسيتهم فكيف تتعرف على ضحاياك ممن كان يمكن أن يولدوا، رجال ونساء، عباقرة ومجانين، كان يمكن أن يعيشوا.. أنت قتلتهم.

الثاني يدي لا تطال المستقبل .. فلا تكون مجنونا.

الأول قتلت المشروع.. الرغبة.. الحلقة.. قتلت أحلامهم وشعرهم وجنونهم وحقدهم، وأطفالهم وصراعهم.. لأنك لم تسمح لهم أن يوجودا أصلا (يصرخ) كان يمكن أن يوجد كل هؤلاء لولا يدك التي عملت عملها يا صاحب العين الجاحظة.

الثاني (يصرخ بعنف) من أنت؟؟

الأول (يقف أمامه) واحد من الأرقام، واحد من ضحاياك.

الثاني من أنت؟؟

الأول واحد ممن قتلت ذريتهم.

الثاني (يصرخ) يا إلهى..

الأول كنت جلادا.

الثاني كنت.

الأول وكنت أنا أحد ضحاياك.. علقتني إلى حد الموت.. لقد أخبرت ابنتي بما جرى فظلت تبكي.. لسنة كاملة.

الثاني ابنتك؟؟ ولكنك قلت إنك (تقاطعه).

الأول نعم لم أستطع الإنجاب.. لأنك السبب فأنت من قتل الحياة في

داخلي أتتذكر تلك الليلة.. الليلة.. الليلة.. توسلت أنا فيها، ولكنك لم تصغ.

الثـــــاني كنت حجرا.

الأول (يصرخ) لم فعلت ذلك؟

الثـــــاني لم أكن أسمع.. كنت حجرا.

الأول ثم فعلت فعلتك الشينعة، تلك الفعلة جعلتني رجلا لا حلم له

الثـــــاني يا إلهي.. الهي.

الأول فهربت أنا إلى الضياء، وسقطت أنت في الوحل.. تزوجت ولم أنجب ثم تزوجت أخرى.. ثم أخرى.

الثـــــاني ألم تقل أن لديك طفلة قبل قليل.

الأول هي إحدى محاولات للانتصرا عليك.. ولكن حين كبرت.. أدركت أن الفتاة لم تكن ابنتي ولن تكون فعاودني ذلك الشعور بالوحدة وظل شبح وجهك يطاردني.. وها أنت ذا أمامي.

الثـــــاني (بهدوء مرير) حصان شاخ.. كسرت ساقه.. ولم يعد يصلح إلا لطلقة الرحمة.. (يستدير إليه) أتعرف .. كنت كل ليلة بعد أن أنهي عملي بتعذيبكم أعود إلى البيت لأبكي، وأطلب الرحمة والصفح (يجلس أمامه) أصفح عني.

الأول لو كنت قد أسأت إليّ.. لصفحت عنك، ربما، لو كنت غرست سهامك بصدري ربما كنت أستطيع الصفح عنك لو عذبتني أو

سرقت مالي.. ربما كنت قد صفحت، ولكن هل تصفح عنك أجيال، كان يفترض أن تأتي من صلبي؟؟ هل يصفح عنك من لم تره؟ هل تصفح عنك فتاة كان يمكن أن تأتي للحياة ويدعوها الربيع فتزهو، يداعب شعرها الهواء؟ هل تصفح عنك روحا تصارع كي تأتي إلى النور؟ بعد أن تخترق الظلام كالنجم ثم تحيا وتتنفس وتكبر لتعيش دورة الحياة (يستدير إليه صارخا) أتعلم ما قمية الهواء؟.. رغم كونه بلا ثمن، إنني أحلم برجال ونساء يندسسن بين الغابات.

والمزارعون ويركبون البحر أو ينطلقون في الفضاء أشخاص يولدون في زمن سيأتي. كل هؤلاء قتلتهم.. سرقت الحياة منهم بفعلتك الشنيعة، فياله من جرح آثم هذا الذي تحمله ولن يندمل، ليساعدك الله أيها الإنسان الذي يدرك ما قيمة الحياة، هل سيصفح عنك كل هؤلاء؟ ذلك هو السؤال؟.

الثـــــاني اقتلني لأرتاح.

الأول ها قد أصبح الموت راحة تتطلبها. بعد أن كنا نتمناه لننجو منك.

الثـــــاني ماذا أصنع الآن؟

الأول لا شيء.. لا شيء.. لا شيء.

(يدخل الثالث حزينا.. يدور وحده)

الثـــــاني (يقف أمامه) انظر إلى .. أتراني مزقا؟ (صمت) ممزقا؟.. نعم ممزقا.. إذن لا تركب الطريق الذي ركبته أنا.. توقف .. تراجع، انسحب.. استرح، واغسل يديك إن كان ذلك لا يزال ممكنا.

(يرفع يديه بوجه هو) هذه البقع لن تمحى إلى الأبد.. انظر إليها.

الثالـــث لقد خدعت.. دفعوا بي.. أجبروني على فعل ما يريدونه وكنت أنفذ، عسى أن أنجو بنفسي، لكنها العاصفة لم تترك شيئا ، ولم أجد إلا مخلفاتهم تلاحقني، انظر إلى جسدي، لقد دفعت ثمن ما لم أفعل وتعقن جسد بسببهم.. ولا خلاص لي.

الثـــــاني تراجع.

الثالـــث من يستطيع التراجع؟! من؟ (ينظر إلى الرأس) أنت؟

(من الزاوية تصرخ المرأة)

المـــــرأة لا تلمس ابني.

الثالـــث هذه أماكن البراءة هذا فم كان يبتسم، هذا ما وصلت إليه (يترك الجمجمة)، يا إلهي لقد حاولت أن أنجو، رضيت أن أكون عبد أي شيء، إلا أن ذلك لم يفلح أيضا.

(يدور وحده ثم يصرخ فجأة)

مسكين من يحيا كورقة بيضاء، يضع عليها الآخرون أختامهم (يدفع قفصا فيه تجلس المرأة وكأنها تجلس في زاوية.. الثاني

يدفعها ليواجه بها الثالث، فهي الحقيقة التي يهرب منها)

الثالـــث ماذا تريد من وراء ذلك؟

الثـــاني أنظر إليها.

الثالـــث ضعف البصر.. ضعف البصر..

الثـــاني لا تنظر بعينيك.. فكلنا نرى.. بل انظر بعين أخرى واسمع ما تريد قوله.

المـــرأة بحثنا عنك طويلا.. وأضعنا الطريق.

(يندفع الأول)

الأول هل وصلت العربة (لا أحد يجيب) لا بأس سأنام بعض أيام إذن، علها تأتي (يدخل إلى الحقيبة الكبيرة وينام).

الثالـــث (للمرأة) لماذا تتبعيننى؟

المـــرأة لأنك لم تعد.

الثالـــث أضعت الطريق.

المـــرأة ونحن أيضا.. أنا وابني.

الثالـــث (يصرخ) ما كان عليك أن تغادري المكان.. لم فعلت ذلك؟

المـــرأة أجبروني على مغادرة المكان الذي كنا نحيا فيه.. ولم أستطع حزم أشيائنا، كم كنت أتمنى أن أحمل كل شيء معي إلا أنهم لم يسمحوا لي بذلك.

الثالـــث رفضوا؟

المـــــرأة كـانوا علـى عجلـة مـن أمـرهم.. وكـان واجبـا علـي أن أطيـع.. فأخذت رأس ابني، وتركت جسده في الغرفة تحت السرير، هناك دفنت جسده، ولم تبقى العاصفة على القليل الذي حملته معي.

الثالـــث أتريـدين البقـاء هنـا؟ (يـدور فـي المكـان مفجوعـا) أهـذا مكـان مناسب للحياة؟

المـــــرأة لا.

الثالـــث لم تبعتني؟

المـــــرأة لا أدري.

الثالـــث ربما لتتخلص مني.. أتريدين قتلي؟

المـــــرأة لا أدري.

الثالـــث لماذا جئت؟ لم تبعتني؟

المـــــرأة (تـصرخ) ربمـا لأنـه لـم يعـد هنـاك متـسع مـن الوقـت بعـد أن سـحقتنا العاصـفة لقد أضعنا الطريق، أضعنا اتجاه البيت. ورغم ذلك فهناك في مكان ما.. بيت لا تضاء مصابيحه في الليل، أظلم كرحم امرأة عاقر لابد أن نعود إليه، لابد أن أعيد رأس ابني إلى جسده.

الثالـــث لقد أضعت الاتجاهات وأحدهم سرق مني شيئا أخل بوجودي لم أعـد كمـا كنـت.. أتفهمـين؟ لا أدري كيـف أصـف لـك ذلـك، اسمعي في جسدي حلقة تورمت فأصابت جسدي كله بعطب،

وما أن أستعيد أمرا حتى أجد نفسي فقدت أمورا غيره، لابد أن أعود كما كنت لكي أستطيع العودة إلى من أحب.

المـــــرأة لم يبق أحد.

الثالـــث ما فائدة العودة إذن؟

المـــــرأة (تصرخ) لا.. لا تقل ذلك.. ولا تهرب.

الثالـــث تحبين البيت إلى هذا الحد؟

المـــــرأة هناك جسد ابني.. والـ.. الـ.. الـ.. البيت كله.

الثالـــث أتحبينه إلى هذه الدرجة؟

المـــــرأة العالم بدونه موحش، وهو يحبك.

الثالـــث لا أريد إلا أن أواصل الهرب حتى النهاية. فاتركيني، اتركيني. سأهيم على وجههي علني أجد طريق الخلاص، سأهيم بكل الاتجهات

المـــــرأة ونحن؟

الثالـــث سأقطع ذلك الحب الذي يشير إلى تاريخ لم يعد فيه إلا الحكايات (يخرج)

المـــــرأة (تصرخ) ونحن؟

(ظلام)

## اللوحة الثالثة

(يدخل الثاني وكأنه يهرب من شخص يطارده حتى يتروي ثم يصرخ فجأة)

الثاني في صدري رجل آخر يجرجرني للتهلكة.

(يجلس ويضع رأسه في الأرض ويعيد تكرار ما قاله.. تفتح الحقيبة ويظهر الأول الذي كان نائما فيها)

الأول (يهمس) أستطيع قتله الآن وهو يهذي.. إلا أن ذلك سيجعل الدم ثوب هذيانه البريء الذي..

الثاني في صدري رجل آخر.. رجل آخر في صدري هو المذنب الوحيد الأول إنه يتذكر ضحاياه، الاعتراف يعيد براءة الموجودات إلى بدايتها، ولكن هل سيكون ذلك كافيا؟ (صمت) أأقتله لأحمل عنه همومه التي تطارده، ذلك ما يتمناه.

الثاني (ينفجر) في صدري رجل آخر، لا علاقة بيني وبينه، يحطم كل ما أريد أو أحلم به، فحين اندفع لحب فتاة راح يسخر منها

وسحبني للأزقة المظلمة والدهاليز رغما.. رغما، ولما حاولت إبعاده عني، رمى بي في التهلكة وبقيت مثل رجل سقط في حفرة من الوحل.

(يردد) ينبغي ألا نصاب جميعا بالعمى.

الأول (يصرخ) في صدري رجل آخر .

الثاني (يصرخ) إننا نصاب بالجنون.

الأول (تخرج المرأة وتضع الرأس في حضنها تهدهده) هل وصلت العربة؟

المرأة ليتها تصل الآن.

الثاني (يواجه) وحتى إن وصلت فلن تذهب معنا.

الأول لم أعد أثق أنها ستأتي.

الثاني زوجي لم يعد هو الآخر يثق بشيء.

المرأة انتظاركم.. جنون.

الثاني لا تحاول خداعنا.. لابد أن تأتي.

الأول كان لدى جارنا كلب يحتجزه لأيام، حتى يكاد يموت من الجوع

الثاني فيذبح أمامه كلبا آخر ثم يدفعه لأكله رغما.. رغما.. وما أن يستعيد نشاطه ويحيا حتى يعيده إلى القفص مرة أخرى ويعيد التجربة بوحشية، كان الكلب وفيا لغرائزه ولهذا فما أن يدخل جارنا كلبا آخر بعد أيام.. حتى يدرك الكلب أن عليه أكله ليبقى

حيا فيلتهمه وذات يوم قرر جارنا أن يأتي بكلب أكبر حجم وبنفس الطريقة اندفع الأول مدافعا عن وجوده، لكنه مات بفعل اندفاع الآخر الذي استمر بمواصلة اللعبة.

كان حقا جاركم؟

بل أنا، وتلك كانت لعبتى.

الأول وتطلب الصفح؟

الثـــاني لقد كسرت مثل شجرة وأخذني التيار .. هذا ما بقي من جذع

الأول ميت ولكني لا أريد مواصلة اللعبة، ولهذا على أن أضع حدا

الثـــاني (يصرخ) كفي، كفى.. ذهبوا إلى النوم الآن، هيا.. فلن تأتي العربة ليلا.. أخلدوا للنوم ولا تخرجوا إن سمعتم صراخا.

(تختفي المرأة.. ويدخل الأول في حقيبته ويغلقها)

(الثاني يعلق ملابسه في مسامير بدو وكأنها شخص آخر ويبقى عاريا، يسود الصمت ثم تستدير إلى الهيكل الذي شكله)

أهذا أنا؟ هذا ما بقي مني، لقد عذبتني زمنا. (يخاطب الهيكل المعلق) انظر ماذا فعلت بى. انظر إلى صحيتك الأخيرة.. أنا.. تبعتك كالكلب، ووثقت بك، ولكنك رميت بي إلى التهلكة كم تحمل من شرور؟ يا لعذابي..

الثـــاني (يبكي، يتألم، يصرخ، يعوي، يئن، ثم ينتهي إلى سكون)

كنت كلما فكرت بالتوبة.. وحاولت الهرب تركض مسرعا قبلي

وتغلق الطرقات كلها وتعيدني مرغما.. مرغما مرغما. فلم أنتصر وأهرب إلا حين.. خطرت لي فكرة الصمت. لم أفكر كثيرا كي لا تصغى.. ولم أقل كي لا تسمع. وفي الوقت الذي كنت نائما في صدرى.. متلذذا بانتصارك.. هربت أنا. سرت في ليل وفجأة لفني الدخان.. ولا أعرف كيف وصلت إلى هنا. ولم أعد أعرف أين أقف؟ (يصرخ) لا أريد مواصلة اللعبة.. لا أريد. ولم يعد ممكنا بقاءك معي... هنا.. لا ترغمني.. يكفي ذلك. ولهذا سأقتلك.. سأسرق منك وجودك، على أن أبقى كما أريد.. كما أريد (يهجم على ملابسه كما لو أنه يقتل آخر، ويسقط كلاهما في الظملة)

(ظلام)

## اللوحة الرابعة

**المكان نفسه**

**الأول: كما لو أنه شاهد العربة. يقفز فرحا.**

**الأول** (يعلن بفرح) وصلت العربة.. وصلت العربة (تظهر المراة مسرعة فرحة)

**المـــرأة** ماذا أسمع؟

**الأول** وصلت العربة التي ستأخذنا وصلت أخيرا. وصلت العربة.

**المـــراة** أعد على مسامعي ما قلت.

**الأول** وصلت يا امرأة.. وصلت.

**المـــرأة** (للرأس) وصلت العربة يا بني، وسأعيدك (للأول) أين؟ أين العربة؟

**الأول** انظري هناك.. هناك... أرأيتها؟

**المـــرأة** نعم. هناك.. ولكنها بعيدة.

**الأول** ستقترب مادامت مقبلة.. ستأتى.. ستأخذنا..

**المـــرأة** أتراها بوضوح؟

الأول نعم. يا له من مشهد أخاذ.. لم أشهد موكبا بهذا الجلال والروعة. خيول بيضاء تسحب العربة.

المـــرأة ولكنها بعيدة.. ويخيل لي أنها توقفت.

الأول أبدا.. بل هي مقبلة لا محالة.

المـــرأة إنها لا تتحرك.

الأول ولماذا تفترضي ذلك؟

المـــرأة لا أدري، لكنها لا تتحرك.

الأول أحد يترجل منها، هناك. انظري إليه (بفرح أكبر) مقبل إلينا.. مقبل.

المـــرأة نعم.. إنني أراه.. ولكن العربة لم تتحرك.

الأول لابد أن تأتي.. لابد أن تتحرك.

المـــرأة تحركت.

الأول أقبلت.

المـــرأة بل ابتعدت.. ابتعدت.

الأول (يصرخ) لا.. (ينظر إلى البعيد) الخيول العشرة البيضاء تأخذ العربة وتختفي.. لقد.. (ينهار) لقد ابتعدت... اختفت واندثرت، نعم (صمت) كأنها لم تظهر أصلا.

(تبقى المرأة والأول مفجوعين بلا حركة يتطلعان إلى البعيد)

(يدخل الثالث.. يتطلع إلى الاثنين)

الثالـــث ألا زلتما أحياء؟

الأول (بلا حركة) كانت العربة... هناك.. ثم اختفت.

الثالـــث نعم. أعرف ذلك. فقد كنت أنا من ترجل منها (يبتعد إلى الزاوية) لقد عدت.

المـــرأة عدت؟.. والعربة؟

الثالـــث كما رأيت.. اختفت.

المـــرأة لماذا؟

الثالـــث ماذا تنتظرين؟ لا تترددي.. تكلمي.. ماذا كنت تنتظرين؟

المـــرأة أن نذهب.. نعود.

الثالـــث إلى أين؟.. لم يعد هناك شيء.

المـــرأة ماذا تقصد؟

الثالـــث المدينة ما عادت هناك اختفت. لا شيء في كل مكان.

المـــرأة والبيت؟

الثالـــث (يصرخ) لم أجد أحدا. لم أجد شيئا على الإطلاق، حتى ولا بقايا.

المـــرأة ربما لم تستدل على الطريق.. أضعتها.

الثالـــث قلبي يدلني يا امرأة.

المـــرأة يخدعك.

الثالـــث قبل أن أشك بنفسي.. عليّ أن أشك بما هو أمامي.

الأول (يتقدم ليسأل) والعربة؟ لماذا ذهبوا دون أن يأخذونا؟

الثالث أين صاحبك؟

الأول أتسمي معذبي. صاحبى؟ أتسمي الرجل الذي قتل بداخلي الحياة، صاحبى؟ (يبتسم) يا له من أمر مضحك.

الثالث أين هو؟

الأول ممات. حفرت له قبرا هناك. ولم أدفنه فقد تذكرت ضحاياه الذين خلفهم بلا قبور، ولهذا أعدت التراب وتركته هناك. لم أعد أشعر بوجوده وكل ما على فعله الآن، أن أركب العربة لأعود.

الثالث لا شيء هناك، فإلى ماذا تريد الذهاب؟

المرأة أنت تكذب وهذا هو طبعك، أنا على يقين من ذلك، هناك جسد ابني، ولابد أن أعيد له رأسه، نعم.. ولكن (تصرخ بقوة) في أي اتجاه علينا أن نسير.. يا إلهي؟

الثالث ربما يطول الانتظار.

الأول أنت أضعت الفرصة.. أضعتها، بفعلتك أصبحت رمادا.

الثالث لم تكن العربة صالحة، كانت بقايا.

الأول والخيول البيضاء التي رأيتها بنفسى؟

الثالث أنا هي، أنا من كان يسحب العربة، أنا الخيول التي رأيتها أنت، ولكني رميت بها أخيرا.. نعم رميت بالعربة إلى هوة سحيقة تملؤها رائحة البارود.

(يذهب إلى الزاوية ليعيد ترتيب مكانه)

الأول (يدور) والعربة.. العربة.

الثالث ربما ستأتي ذات يوم.. لا أدري (للمرأة) لنرتب المكان. هيا. فهو الحقيقة الوحيدة المتبقية.

المرأة (للثالث) تتكلم معي؟

الثالث نعم.

المرأة وهل أعرفك؟ هل أعرفك؟ لقد جمعنا الانتظار. (بحزن شديد) أنت لا تفهم ماذا يعني ذلك؟ ولا تؤمن بشيء، وأنا أنتظر، لابد أن أنتظر، لا خلاص من ذلك (تجلس على الأريكة قرب الأول) ستأتي العربة؟

الأول نعم.. لابد أن تأتي.. من هذا الاتجاه. (يشير إلى اليمين)

المرأة وربما جاءت، من ذلك الاتجاه (تشير إلى الجهة المعاكسة)

الأول لا.. أنا متأكد.. أنها ستأتي من هذا الاتجاه.

المرأة وهل جاءت العربة يوما من هذا الاتجاه؟

الأول لا أدري.. فالتاريخ لا حدود له. ولكنها ستأتي.

المرأة قبل أن تعود العاصفة.

الأول ستأتي من هذا الاتجاه.

المرأة بل من ذلك الاتجاه.

الأول (يضحك بسخرية وهو يعيد العبة بعناد) بل من هذا الاتجاه.

**المـــرأة لا.. ستأتي من ذلك الاتجاه.**

**الثالـــث (من عمق المسرح) وربما هذا الاتجاه يشير إلى اتجاه ثالث)**

**الأول لا.. ستأتي من هذا الاتجاه. (يواصلون لعبتهم بعناد وهم يشيرون إلى مختلفي الاتجاهات، حتى يسود الظلام)**

**(انتهت)**

# الحاجز

**المكان**

**يبدو كما لو أنه بناء حدودي أقيم أو مكان استغل لهذه الغابة. كل ما حول الشخصيات يوحي بأنه مجهز بما يمكن استخدامه ضدهم، خاصة فيما يحيط بالغرفتين اللتين يقسمهما حاجز حديدي، مصنوع بدقة ودراية، فيه أسلاك مكهربة، عليها بقايا من حاولوا عبور الحاجز فماتوا تباعا.**

**الشخصيات:**

**١) الأب**

**٢) الابن**

**٣) المجند**

**٤) الرجل**

في الجانب الأيمن يتحرك الابن بقلق، في حين يقبع في الجانب الآخر الأب بلا حراك يجلس على كرسي متحرك دون أن يشعرنا بذلك.

الابـــــن (يتحرك بقلق ويتطلع حوله بشك كأنه وضع داخل مصيدة لا يدري متى ستطبق عليه).
الطائرات.. ثم القطارات.. وبعدها حملني الباص حتى آخر الطريق وحين توقف الطريق ولم يعد أمامه إلا التراجع، واصلت السير زحفت حتى وصلت.. ربما فقدت الكثير، أنا المدعو. (يصمت وكأنه نسي ما يريد) أيعقل أنني قدمت اسمي الحقيقي لهم؟ يالي من مجنون.. لقد نسيت.. نسيت ماذا قلت لهم.. (يغضب) كان عليّ أن أكتب اسما واحدا من الأسماء التي حملتها. كان عليّ أن أحدده وأحفظه وأردده في ذاكرت.. كان عليّ أن أكتب الاسم على جسدي.. كيف نسيت، وماذا ساقول؟ أنا أعرف هؤلاء.. وربما ذكرت الاسم الذي لا ينبغي

على ذكره، وساعتها لن يكون بمقدوري التراجع.. أي خطأ ارتكبت.. ربما لن أذكر الاسم. ولكن من المؤكد أنني سأتعرف على وجه أبي ساعة أراه وأستقبله.

(ومع آخر الجملة يستدير فيشاهد الأب في الجانب الآخر من المسرح)

الأب بني.

الابـــــن (يتلفت بخوف) أتقصدني؟

الأب هل هنالك مغيرنا؟

الابـــــن لا أدري.. أقصد (يتلفت ثم يهمس) كثيرون.

الأب أين هم؟ انظر.. لا أحد.

الابـــــن من هذا إذن؟ (يشير للشخص الذي يمر ويقبع في الزاوية)

الأب ستعرف فيما بعد؟

الابـــــن أتعني أننا داخل تجربة؟ (بعصبية مفاجئة) أهناك إخضاع قسري لمشاعرنا؟ (يصرخ) ماذا تعني؟ (ستعرف فيما بعد) .. أجبني.

الأب ستعرف فيما بعد.

الابـــــن (للرجل) أعتقد أن هذا المكان خصص لي، لأتصل به (يشير إلى الأب). ومن الأجدر لك أن تغادر، (يصرخ) هذه حجرتي أتفهم؟ هذه الحجرة التي قالوا إنها مخصصة لي كي أجلس فيها واراه (يشير للأب).. وأتكلم إليه (ويصرخ ) غادر

المكان.. هيا.

ينهض الرجل الآخر ويغادر بصمت

الأب (يخرج رسالة طويلة جدا ويفتحها تدريجيا بعد أن كنت في جيبه، فإذا بها أربعة أمتار)

الابـــــن (يصرخ) ما هذه؟

الأب الرسالة التي بعثتها لنا.

الابـــــن كيف غدت بهذا الحجم؟

الأب بفعل السنوات يا ابني. لقد أسقيناها دمعا.. فكبرت.. انظر.

الابـــــن ماذا تقصد.. (يبتعد إلى الجانب البعيد).

الأب ماذا بك يا بني؟. أانت خائف؟ اطمئن.

الابـــــن حين يكون المرء بين أيديهم لا أظنه سيشعر بالأمان.

(بتهكم ساخر) ما تقوله مزحة. كيف تطلب مني ذلك؟ أم تراك نسيت ما فعلوه بى.. نسيت كيف أن براءتي لم تكن كافية لإبعاد شرورهم عني.

الأب مادمت بين أيديهم.. فاطمئن.

الابـــــن أتثق بهم؟

الأب لا..

الابـــــن كيف أطمئن إذن؟

الأب لا خيار لنا الآن فكلانا بين أأيديهم.

الابـــــن يا للورطة، نعم، أنا أمامهم، بين أيديهم من جديد، ولكن لن يستطيعوا الإمساك بي.

الأب لا يزال الزرع المسموم الذي زرعوه بداخلك لم يمت.

الابـــــن سنوات الجليد مسحت ذاكرتي.

الأب سنوات الجمر.. نالت من كرامتي.

الابـــــن كل يوم.. كانوا يغسلون ذاكرتي ويعلقونها حتى تجف.

الأب أما ذاكرتي فقد تعفنت في الغرف التي ينمو فيها العفن، لكني اقتلعت نبتة الخول التي يزرعونها عادة في أرواحنا، ولم أدعها تتسلق روحي.

الابـــــن رغم الخوف الذي تتهمني به.. ها أنذا أمامك. فما إن سمعت خبر موتك.. حتى تجاهلت كل هذا.

الأب لقد انشقت الأرض ما بيننا.. هذا ما كتبته بإحدى رسائلك الأخير حتى أيقنت أنني لن أراك بعد الآن، رسالتك ما تزال معي.

الابـــــن (ينظر إلى الرسالة) هذه مجرد ورقة فارغة.

الأب اختفت الكلمات بفعل السنوات ولم يبق إلا الورق. ولكني متأكد أنها هي وأنك كتبت هذه العبارة، ولقد وضعتها قرب صدري، حين شعرت أنني راحل لا محال.

الابـــــن كيف قالوا إنك مت؟

الأب هذا ما حدث بالفعل يا بني.

الابـــــن ها أنتن أمامى. فلا توهمني.. (يصرخ) أنا لست في حلم.

الأب كل شيء جائز.

الابـــــن إذن فهو اختبار لحواسنا، ها أنذا أمامك، وها أنت أمامي، فكيف تكون قد مت.

الأب في زمن لم يعد فيه الموت أمرا طبيعيا وإنما بفعل متعمد يكون، فيه كل شيء جائز.. الحزن الذي لازمني بعد رحيلك نال مني، ووهنت قواي، وفجأة وجدت الآخرين يتجمعون حولي، وكنت أدير عيني بينهم بصمت، حتى ظهرت العجوز ووقفت أمامي مبتسمة، كانت ابتسامتها توحي بحزن لا يعادله حزن، ورغم ذلك كله وقفت أمامي وابتسمت، ساعتها استجمعت قواي وحاولت أن أواسيها فابتسمت لها. سألت: أترحل؟ أجبتها بأغماضة صغيرة مستسلمة. قالت: وأنا؟ ثم أردفت. أترحل قبل أن تعيده؟ وأشارت إلى رسالتك التي كانت بالقرب مني فبقيت عيناي مفتوحتان لسبعة أيام. ثم نهضت دون أن أعرف أي قدرة دفعت بي، فوجدت أنها قد أعدت حقيبتي ومن يومها لم أعد أحيا إلا لأعيدك إلا أن رحلتي طالت، لقد مرت سنوات وأنا أبحث عنك.

(الابن يبتعد): لماذا تتراجع؟

الابـــــن أظن أنك مخطئ يا سيدي، فسلت الشخص الذي تبحث عنه.

الأب أتظن ذلك؟.. انظر إليّ.. هذا أنا.

الابـــــن نعم.. هذه ملامحك.. نعم. حتى وإنت تغيرت.. فهذا هو أنت ولكنك ميت، هذا ما جاء بالرسالة.

الأب من كتب تلك الرسالة؟

الابـــــن هو بنفسه. الذي مات. مازلت أذكر طريقة رسمه للكلمات.

الأب كتبتها قبل أن أتمدد على الحلبة، وقبل أن يعلن الزمن انتصاره.

الابـــــن لقد خسرت الكثير من شجاعتي في هذه الرحلة، وعبر الحدود المختلفة. لقد تغير كل شيء، حتى جسدي ما عاد الذي تعرفه. فالجسد مطية الروح، يتشكل كما تريد. وقد اختلطت الوجوه التي عذبتني (يصرخ) ذاكرتي مستنقع ساكن.

الأب لا تصرخ.. ذلك يثيرهم.

الابـــــن كل ما أعرفه الآن أنني ركضت ككلب ريفي، فإذا بي وسط دوامة الشك، كنت عبر المسافات وبين حدود وأخري، أمني نفسي، بحياة أفضل.

الأب حتى في ساعة الموت كنت أتشبث بك.

الابـــــن ورغم ذلك كله، ها، أنت أمامي.. ولا قدرة لي على.. على.. (يعجز) هذه الأسلاك لا يمكن أن تكون الحاجز الذى. وعلي

أن..

الأب (يقاطعه) احذر.. فقد رأيت العديد يموتون فوقها. وتتفحم أجسادهم، فلا تقترب منها.. احذر.

الابـــــن هذا ليس وضعا يليق ببشر.. هذا امتهان وحشي لمشاعرنا.

الأب ومن قال لك إنهم يعاملوننا كبشر.

الابـــــن أبعدونا بالقوة.. وأعادونا بنفس الطريقة.. ثم فتحوا لنا مجالا صغيرا. وها هو أخيرا لا يستحق العناء.

(يدخل رجل، كل شيء فيه يوحي أنه مجند غير أنه لا يرتدي الملابس المتعارف عليها بل بقايا ملابس لا تدل على عمله، بل على تجاوزه المنطق المتعارف عليه، نظرته ثابتة، ويبدو أنه أحد بقايا أدوات التجربة التدميرية)

المجنـــد من كان يصرخ؟ (صمت)

الابـــــن من تقصد؟

المجنـــد أخبرني أنت. هيا.. أجب.

الابـــــن كما تريد.

المجنـــد أجبني.

الابـــــن لقد تعودت أن.. (يقاطعه).

المجنـــد لا تطل عليّ.. أجب بنعم أم لا..

(يشير للأب): أهذا أبوك؟

الأب قل له نعم.. أخبره يا بني ولا تخف.

الابـــــن كما تريد (مرتبكا) نعم.

المجنـــد إذن فهذه ليس أوراقك.

الابـــــن هذا أنا. وهذه أوراقي.

المجنـــد إذن فهذا ليس أبوك.

الأب ولكنه ابني.

المجنـــد إن كان ابنك كما تدعي حسب طلبك الذي تقدمت به، فهذه ليست أوراقه، وإن كانت أوراقه كما يدعي فأنت لست أبوه.
(يستدير للابن) عليك أن تختار، وأنت تكون مستعدا لتحمل مسؤولية ذلك الاختيار. (يخرج).

الأب قل لهم الحقيقة. قل لهم أنك هو.

الابـــــن من؟

الأب من انتظرته سبع سنين. ومن تنتظره العجوز هناك، ومن أوقفت الرحمة الإلهية موتى لأجل أن أعيده.

الابـــــن (يصرخ) يا إلهي كيف لنا أن نتحمل مسؤولية ما لا قدرة لنا عليه.

الأب عدت إلى الصراخ، لا تستنجد.. ففي هذا المكان لا أحد يمكنه أن يقدم لك المساعدة.. افهمت؟ لا أحد يهتم،

المجنـــد (يدخل) حان وقت النوم.

الابـــــن وإن لم أستطع النوم.

المجنـــد لا خيار عندك.

الابـــــن ولكنني لم أعد تحت تصرفكم، ومن حقي أن أطالب.

(يصمت بحركة أمر من المجند)

المجنـــد بيد أنك نسيت ما يمكن أن نفعله. (يطفئ الضوء ويشعل بعض الشموع) ألا تتذكر قصص التعذيب، هي جزء من تاريخي، أم تراك نسيت أنهم يطلقون على (ماكنة الموت)، يبدو لي أنك تذكرت الآن. لا أريد أن أسمع صوتا بعد هيا.. إلى النوم. هذه الشموع مني، كنت قد أشعلتها لآخرين عسى أن يشعلوا الشموع بدربي في الآخر.

(يطفئ الضوء ويبقي الابن في مكانه دون حركة وكذلك الأب ومن وسط الظلمة نسمع صوتهما).

الابـــــن أتذكر.. حين قلت ذلك.. الليل كالعباءة. نعم هو كذلك.. ولكن ليل الموجوعين.. عباءة من حديد.

(صوت صرخة، يقفز الرجل وقد قطع لسانه وضمد بقطعة قماش لا تزال تقطر دما.. يتحرك مفزوعا، الأب يشعل بقايا شمعة).

الابـــــن من أنت؟ من أنت؟

الرجـــل (لا يجيب، بل يتألم).

الابـــــن من أنت؟.. تكلم من أنت؟

الرجـــــل (يبدو منشغلا بنفسه وبما يعاني، ثم يجلس في الزاوية، يتطلع الابن إليه.. الرجل يحرك قدمه.. كالمجنون..

يخرج الابن من تحت غطائه الأبيض.. ويقترب منه ثم يمسك بالقدم يسحبها فتنقلع.. الرجل يلتف بالرداء، الابن يتحرك بخوف تتواصل المطاردة كأنها حلم.

الابن يجلس في مكانه)

الابـــــن أتعرف يا أبى.. حين وصلت بعد رحلة العذاب إلى بلد الجليد، نمت لسبعة أيام بعد أن خلت رحلتي من النوم نهائيا، بل كل السنوات التي قضيتها مطاردا أو مسجونا أو حتى في تلك الأيام التي قضيتها بينكم.. كلها قد خلت من النوم وذات مرة، أطفئوا السجائر في عيني رجل نام رغما عنه.. نام واقفا (يدور ويردد) لأننا لا نملك أقدام تجيد الرقص، علينا أن نتكلم كما لو أننا نرقص (يظهر المجند في الزاوية.. يحمل ملفا كبيرا) حين تتحول الأرض كلها إلى مصيدة فما عليك إلا أن تنجو بنفسك ولهذا لم أتوقف عن مواصلة الهرب إلا في بلد الجليد، لكن الكوابيس طاردتني، ولم تفارقني، وعشت لسنوات طويلة، أشعر أن هنالك من يتعقبني، يركض خلفي، يلبس وجوها مختلفة، يأخذ أشكالا مختلفة، يتعرف على مهما

حاولت خداعه، لكنني لم أسلم نفسي وصار الشك مركب الخلاص الوحيد وتطبعت عليه، ولهذا فلا تستصاب بالذهول حين أواجهك وأقول لك، أنا أكاد.. أن، أشك بك. هذا واحد من الدروع التي ارتديتها. أتفهم؟ الشك الحوف. الهرب، وسائلي لأحيا. (يصرخ)

لم أعد إلا وهم.. أتمسك بكل ما يعطوني.. حتى لو كانت قطعة قماش.

(ينتزع قطعة القماش من على الرجل، فلا يجد تحتها إلى أرجل وقد اختفى الرجل تماما فيزداد هلعه)

ألم أقل لك يا أبي.. إنها الكوابيس، الكوابيس، وهم يدفعون بي..

الأب إلى الجنون.. يالمحنة من لا خيار له.. لأننا لا نملك أقدام تجيد الرقص علينا أن نتكلم كما لو أننا نرقص.

يتكلم المجند من مكانه، وهو يتصفح الملف الذي يحمله.

المجنـــد ألم تعترف بعد؟

الابـــن بماذا؟

المجنـــد بما ينبغي أن تعترف به.

الابـــن ما هو؟

المجنـــد لا علم لي بالغيب.

الابـــــن ولا أنا.

المجنـــد ولكنها حياتك.

الابـــــن ما دمنا لا نتذكر، فهذا يعني أنه لا توجد أشياء على الاعتراف بها تأكد أن صفحاتي بيضاء، وفي كل مكان كنت أولد فيه.. كنت أسعى للعيش بلا مشاكل..

المجنـــد أنا لا أفهم ما تقول.

الابـــــن لا يوجد شيء.

المجنـــد لا يوجد إنسان بريء.

الابـــــن إن وجد تكون مصيبة؟.. صدقني نحن أبرياء (يقاطعه)

المجنـــد اخلع هذا الرداء.. واعترف.

الابـــــن أنا أعترف. ولما مقاومة عندي.

المجنـــد بماذا تعترف؟

الابـــــن أنا أعترف بكل ما تريد.

المجنـــد أخبرني أنت.

الابـــــن قلت لك.. لا يوجد، ومع ذلك فما تريده.. أنا أعترف به رغم عدم وجوده.

المجنـــد ولكنهم دونوا كل شيء هنا، هنا (يضرب على الملف الذي يحمله) وأنا لا أثق إلا بهذا، هذا عالمي.. هذا ما أفهمه، هنا يتم حساب كل شيء، وأي شيء، هنا تختصر حياتك، وتوجز

تطلعاتك، وتتعدد صورك وتدون هواجسك.. هنا.

الابـــــن ماذا كتبوا عني؟

المجنـــد لا تقترب..

الابـــــن ليتني أعرف ما دون في ملفي.

المجنـــد حتى الأحلام.

الابـــــن يا للخيبة.. إذن كله أحلام.

المجنـــد انظر إلى هذه الخطوط الحمراء، كلها إشارات في غاية الأهمية.

بماذا كنت تحلم؟

الابـــــن منذ البداية؟

المجنـــد منذ البداية.

الابـــــن كنت أحلم أن..أن..

المجنـــد أكمل..

الابـــــن أن أتكلم مع ابنة الجيران.. أقصد..

المجنـــد لا تخجل هذه واحدة من رسائلك لها وأنت في ذلك العمر.

الابـــــن يا إلهي.. السنوات أصبحت رمل. أنا مت، وولدت في البلدان البعيدة عشرات المرات. ولا تزال هذه الرسالة في صناديقكم، أي بشر أنتم!

المجنـــد نحن كائن خرافي، في داخله أعداد لا تحصى من كائنات

تشبهه، تتناسخ بمعلوماته. والآن قل لى.. أهذا أبوك؟

الابـــــن إذا كنت تملك ملفا عني بهذا الحجم، فمن المؤكد أنك تعرف.

المجنـــد هذا الرجل لديه أدلة، وأنت تملك أوراقا، تشير إلى أنك لا تنتمي إليه، ولا تحمل اسمه. فمن أنت؟

الابـــــن أنا ابنه.

المجنـــد اسمك الذي في هذه الأوراق.

الابـــــن (يقاطعه) لقد تغير.

المجنـــد قلت لك من قبل.. أنا لا أفهم إلا ما هو مدون أمامى (يصرخ) أهذا والدك؟ يقول إن موته قد توقف بفعل الرحمة لم يغمض عينيه في النهاية وتحمل كل ما أعرفه من المصاعب، وما لا أعرفه. فهل تظن أنه جاء ليلهو؟ أريد حقائق.. أدلة، أوراق مدونة كهذه (يرمي بالعديد من الأوراق.. يتحرك الأب في مكانه) (يردد) حين تركت قريتي دعوت سبع جمعاتت كما قيل لى.. وبعد..

الأب إن قالوا أنني عقيم، تمنيت الموت، وحفرت قبرا عمقه سبعة أمتار لأدفن نفسي وحين كنت ساعيا لذلك.. غمرتني نشوة وحملتني إلى علو فيه احتلني الضوء، وغسلني النور، وفي تلك اللحظة، جاء هو.

الابـــــــن (كأنه يواصل العودة إلى الذاكرة) كنت قد دخلت إلى باص كبير يجلس فيه العديد من الناس.. هادئون ولم يكن أحد يعلم إلى أين يمض بنا ذلك الباص، وإلى أي اتجاه. لكنه كان يسير باستمرار إلى الأمام.. لم ينعطف أو يستدير أو يتراجع.. كان دؤءبا يسير إلى الأمام.

وفي داخل ذلك الباص العجيب.. وقفت في الوسط وتطلعت بأعين الجميع ثم أسرعت لأجلس أمام هذا الرجل (يشير إلى الأب) فقد أعجبتني ملامحه.. ابتسمت له. فلم يستجب كان حزينا، ولم يتكلم.. ثم مالبث أن استدار بعيدا، فأخرجت رأسي من النافذة المجاورة وواجهت عينيه، فأعاد نظراته إلى داخل الباص، فتبعته.. وأنا أبتسم، حتى توقف الباص في مكان لم أره من قبل فنهض مسرعا وغادر الباص، ركضت خلفه.

خرج من المدينة راكضا وأنا أتبعه، كان الفضاء فارغا من حولنا أسطوريا.. وفجأة توقف أمام أحد البيوت. كانت الشمس تغرب فتوقفت خلفه.. طرق الباب.. فتحته امرأة عجوز تكلما بسرعة ثم دخلا.. وتركا الباب مفتوحا فدخلت.

دخلا الغرفة الوحيدة وتسلقت إلى سطحها وبقيت في ذلك الظلام السرمدي أتقلب حتى قبل طلوع الفجر، إذا سارعت العجوز توقظني وتقول استيقظ.. والدك بحاجة إليك..

المجنـــــد لا تكمل.

الابـــــن لقد.

المجنـــــد (يصرخ) لا تكمل.

الابـــــن اعترفت.

المجنـــــد لا تكمل.

الابـــــن هذا ما حدث بالضبط.

المجنـــــد لا تكمل فهذه حكايتي.

الابـــــن نحن نولد ونكبر دون أن نعرف المغزى من ذلك. أتستطيع إجابتي لماذا نولد؟ ونبقى مثل زورق على رمل.. تدور حوله الشمس بلا فائدة.. فلن تكون له بحرا، ولن يزحف في صحراء.

المجنـــــد لم أفهم.

الابـــــن لماذا؟

المجنـــــد لا تسأل.. أنت هنا لتجيب.

الابـــــن أنا أجيب على كل الأسئلة.. (للرجل) وأنت؟

المجنـــــد أنا أسأل.. هكذا نحن، طريقا بينهما قبر (يخرج بهدوء).

الأب إذا كانت أقدامنا لا تنفع للرقص فلنرقص بالكلمات.

الابـــــن هذا ما كنت تردده. حين تذهب للمدينة كل صباح.

(يشير للرجل) رأيته ليلة أمس في الحلم.. كان فمه يقطر دما.

الأب قطعوا لسان.

الابـــــن لماذا؟ لماذا فعلوا ذلك.

الأب حتى لا يخبر أحدا بما رآه.

الابـــــن وماذا رأى.. (للرجل) ماذا رأيت؟

الرجـــــل (يستعد للقتال)

الابـــــن لماذا يفعل ذلك؟

الأب يخشى أنك تريد أخذ مكانه.

الابـــــن (للرجل) أتقاتل من أجل هذه الزاوية. ولا تقاتل حين قاموا بقطع لسانك؟ (يصرح) أتقاتل من أجل ظل تموت فيه؟ وجودك يذكرني بما سأنتهي إليه بين أيديهم.. ابتعد، ابتعد. فأنا خائف. عشت طوال عمري مصاب بالهلع.

الأب اتركه يا بنى.

الابـــــن لم جاءوا به؟ لما جاءوا به؟ لم قاموا بزجه هنا؟ وكيف سمحوا له بالعبور بين هنا.. وهناك (يهجم عليه) لا بد أنهم أرسلوا بك لتسترق السمع.. ومن المؤكد أن هذا الدم كله مجرد أكاذيب. هيا.. اعترف.. انطق.. تكلم.

(الرجل يشير بعدم قدرته)

الأب اتركه يا بني ألا ترى أنه خائف.

الابـــــن وأنا خائف أيضا.

الأب كلنا خائفون ولكن هذا لا يعني أن نقتل بعضنا.

الابـــــن لم أرث منك غير الخوف. لقد علمتني أن الوسيلة الوحيدة للبقاء حيا أو ميتا وبلا عذاب متواصل هي الخوف.. لكنني أدركت بعد فوات الأوان أنني قد سقطت في قبرب محكم وأزلي.

الأب ماذا فعلوا بك يا بني؟

الابـــــن أنت من زرع بي حقلا من الخوف وليس هم فقط وأثمرت كل نتبة فيه سبع ثم سبعين، ثم سبعة آلاف، لقد احتلت أعشاب الخوف جسدي وهذا كله بفضل وصاياك.

الاب جئت أبحث عنك..

الابـــــن وأنا جئت لأجلك.. والنتيجة.. ها نحن مسجونان بلا جدران، ربما كان يجب علينا أن نحكم العقل قبل أن نقوم بأي فعل.

الأب الطيور لا تشعر بالغربة.. والفراشات تألف الحقول أيا كانت، أما أنا فمحتوم على أن أروض نفسي بين فترة وأخرى.. وها أنا أمامك.. لقد ولدت الآن. وها أنا أبدأ أول خطوات في غرف التحقيق. ليتك تغادر هذا المكان.

الأب وماذا سأقول للعجوز؟

الابـــــن هي تريد ابنها. وأنا لست هو.. لم أعد كذلك.. لقد انشطرت، وتناثرت، ولبست أسماء أخرى، وعناوين أخرى، وابتعلتنا

البلدان كالحقائب.. وقمت بتزوير كل شيء.

الأب كنت قادرا أن تلعب هذه اللعبة منذ صباك.

الابـــــن واستطعت نفضلها النجاة.

الأب قيل إنك زورت العديد من الوثائق.

الابـــــن لقد قاموا بتزوير كل شيء ولم يبق إلا الموت.

أبي لقد أدمتني هذه اللعبة.. غيرت ملامح وجهي.. وإنساني تكرار التجربة حقيقة ذاتى. حتى اختلطت في ذاكرتي الصور.

الأب أنا متأكد أنك لم تنس البيوت والأزقة.

الابـــــن لابد أنها تغيرت.

الأب لم يتغير شيء.. لقد زادتها السنوات بؤسا. . القبر لا تتغير ملامحه، لا يؤرق ولا يتجدد إنما يتلاشى مع الأجيال، حتى يكون ذات يوم مكانا لميت لا أحد يعرفه.

الابـــــن ساعتها تكون الوحدة قد أطبقت.

الأب ماذا تقول هي إذن.

الابـــــن من؟

الأب المرأة التي أغلقت باب البيت إلى الأبد. فأما أن تعود ليفتح أو سيكون قبرا.

الابـــــن لقد تغيرت.. ولم أعد كما كنت. لم ابنها الذي تنتظر.

الأب لابد أن تعود إليها. عدني بذلك.

الابـــــن سوف لن أفي بوعدي.

الأب أنا أثق بك.

الابـــــن أنا لا أثق بنفسى.

الأب كم كنت أتمنى أن يأتي الموت وجسدي ممدد في حقل، على أني أرى روحي وهي تغادر. الباص سيواصل الرحلة ويجمع الأرواح المتبقية. وهي ستبقى هناك في الحقل. سارها. وسأشبع عيني، سأراها وأرفع يدي مودعا.. وأشكرها ساعة تفتح السماء أبوابها وتذهب هي. (يسود الصمت)

الابـــــن لم تكمل الحديث..

الأب انتهى الأمر.. وقد دفعت الثمن غاليا لأراك، ليتك تقترب أكثر، ولكن احذر أن تلامس هذه الأسلاك.. تحرك لأراك.

الابـــــن اقترب أنت أيضا.

الأب ليتني كنت قادرا على ذلك.

الابـــــن أنت جالس طوال الوقت.

الأب لا خيار لى.

الابـــــن ماذا تعني.. ماذا تعني حين تقول.. لا خيار لك.

الأب هذا رجل قطعوا لسانه. وهناك آخرون وأنا.. (يصمت)

الابـــــن ماذا تنعني؟

الأب كانوا يخشون ذهابي معك.

الابـــــن أتعني.. إنهم قطعوا.. يا إلهي أنا لا أصدق.. لا أصدق.. ما يجري مجرد لعبة، لعبة نحن ضحاياها (الأب يرمي بجسده على الأرض).

الابـــــن افتحوا الأبواب، لا تغلقوا الفضاء بوجه الرحمة، ارفعوا هذه الحواجز، (للأب) لا تمت.. لا تمت (يصرخ) افتحوا الأبواب، ألا يسمعون؟ (الرجل يشير إلى الكاميرات) أتعني أنهم يراقبون حياتنا.. وموتنا. افتحوا الأبواب (يدخل المجند)

المجنـــد لم هذا الصراخ؟

الابـــــن أبي (يشير للأب الذي تمدد على الارض) أبي.

المجنـــد من قال أنه أبوك؟

الابـــــن دعني أصل إليه.

المجنـــد لا قرار في هذا.. وكل ما جاء في القرار.. لأوضاع إنسانية سمح لكما أن تلتقيا كما سمح لغيركما ثم.. انتهى الأمر.. لقد كنت شديد الرأفة بكما رغم عدم وجود أي إثبات أنك ابن هذا السيد.

الابـــــن أنا ابنه.

المجنـــد أريد أوراق تثبت ذل.. أدلة.. أتفهم.. أنت لا تحمل اسمهت ولا ملامحه ولا طبعه، ولا أي شيء منه.

لقد مضى على هذا الرجل.. سبع سنوات وهو ينتظر هنا، سبع

سنوات.. أين كنت.. جاء الكثيرون وقالوا إنهم أبناؤه.. وقال هو عن كل واحد منهم أنه ابنه.. هذا الرجل فاقد لعقله

الابـــــن ولكنني ابنه.

المجنـــــد كلهم كانوا مثلك يحملون أسماء مختلفة.

ويصرخون بما تدعيه الآن.

الابـــــن ولكنني ابنه.

المجنـــــد انظر هنا.. في هذا الصندوق صورهم.

(ينثر الصور) أنت واحد من هؤلاء.. انظر إليهم.. افهمت؟

(يستدير ليخرج لكنه يتوقف حين يتحدث الابن).

الابـــــن في السنة الأولى حملت هذا الجواز وكان رقمه (٧٣٥٠) .. لم تمض سبعة شهور، حتى حملت هذا الجواز الآخر. واسم آخر. كل هذه الجوازات تحمل صورتي، وأحمل تاريخ أصاحبها الوهمي فمرة كت معلم وأخرى صاب دكان وثانية محاسب وأخرى موسيقى رغم أنني لم أمسك بآلة موسيقي، لكنها الحياة أرادت ذلك لقد ضعت بين هذه الأسماء وكل جوازات السفر هذه تحمل صورتي حتى أنني ذات مرة وضعت صورتي على واحد منها.. فوجدت كل أنواع الشرطة تطاردني في كل مكان.. ومرة حملت جواز سفر لرجل مات في إحدى الحروب.. لقد اختلطت الأمور ولم نعد نعرف أين

نحن؟..أين..

(يندفع الرجل الآخر ليبحث بين الصور وجوازات السفر)

الابـــــن عن أي صورة تبحث؟ عن ابنك؟

الرجـــــل (يشير بنعم) ويرفع إحدى الجوازات.

الابـــــن ماذا تعني؟ أتظن أن جواز السفر هذا الذي تحمله لابنك؟

الرجـــــل (يشير بنعم)

الابـــــن نفس الاسم؟ ونفس الرقم؟

الرجـــــل (يشير بنعم)

الابـــــن لقد اشتريته من سمسار، وربما كان قد باعه عشرات المرات لآخرين. (الرجل يحمل جواز السفر ويذهب إلى الزاوية)

المجنـــــد والآن؟

الابـــــن (صمت)

المجنـــــد ماذا ستفعل؟

الابـــــن (صمت)

المجنـــــد إلى أي اتجاه ستسعى.؟ ربما عليك أن تحدد قبل كل شيء.. من تكون؟ لا عليك.. هكذا انتهت الأمور. وكلها في النهاية لعبة غير مجدية.. الغروب يضاعف أحزاننا ويحاصر أرواحنا.. إلا أني حين أستدير إلى الخلف، لا أري غير هوة ساحقة تملؤها الشياطين، تتسع، وتحتم علينا المضي دوما إلى الأمام.

هكذا نحن. (للجثة وهو يشير إلى الابن) سيعود من حيث أتى، بعد أن يكون النوم قد أطبق عليك. (يحمل جسد الأب ويخرج).

الابـــــن إلى أين تأخذه؟

الرجـــــل (يشير إلى الملابس)

الابـــــن سيأخذ ملابسه؟.. أيفعل هذا؟

الرجـــــل (يشير بأنه سيهيل عليه التراب)

الابـــــن ويهيل عليه التراب؟.. أهناك آخرون ينتظرون؟

الرجـــــل (يهز رأسه) نعم؟

الابـــــن (يهز رأسه أكثر.. وأكثر.. حتى يتحول إلى حركة تقليدية) يا لها من ورطة. (ينهض ويخرج وهو يردد) يا لها من ورطة (يدخل رجل ويجلس هناك يتطلع إلى الرجل الآخر ثم يبكيان ويتحدثان بلا صوت وكأنهما يقصان تاريخا لا نهاية له من الحوادث المؤلمة حتى يسود الظلام).

(انتهت)

# القلعة

**وجدت بين الأنقاض مذياعا قديما ميتا**
**حركته بقدمى**
**فعاد ينشد أغاني الموت**

**من المسرحية**

**الشخصيات**

**الأول** مندفع، حساس، ينعكس ذلك على مظهر العام
**الآخـــــــر** أنيق، يوحي بالقوة.

## اللوحة الأولى

**جزء من محطة وقدود قديمة وصغيرة وشبه مهملة الأول، يتحرك بانفعال وقلق، وينتظر بفارغ الصر حتى يخرج الآخر فيقف أمامه.**

**الآخـــــر أنت أيضا، ما الذي يدفعك للوقوف في طريقي؟**

**الأول القدر.**

**الآخـــــر ماذا تريد؟**

**الأول تأخذني في طريقك.**

**الآخـــــر (يقاطعه) قلتها وأجبتك إن ذلك أمر مستحيل.**

**الأول أعرف هذا الدرب جيدا، وأعرف تلك المدينة الصغيرة التي تتربع في نهايته.**

**الآخـــــر الطريق طويل.**

**الأول سرعان ما ينقضي، سرعان ما ندرك أنه قصير كحلم، هل عشت في تلك المدينة؟**

الآخـــــر أنا لا أجيب عن الأسئلة.

الأول (بأدب مبالغ فيه) إذن يا سيدي أنا أطلب منك أن...

الآخـــــر (يقاطعه) لا..

الأول لم أكمل بعد.

الآخـــــر قلت لا.

الأول هل لك بمساعدتي.. طريقنا واحد.

(يصعد إلى السيارة)

الآخـــــر ترجل.. هيا ترجل...إلا...

الأول إذا لم تأخذني معك.. لن أدعك تمر.

الآخـــــر أتهددني؟!

الأول لن تمر (يتمدد أمام السيارة)

الآخـــــر (ينظر إليه بهدوء ثم يضحك) أتعتقد أني سأهتم إن مر كل هذا الحديد على جثتك؟

الأول افعل ودعني أسترح.

الآخـــــر إذا كنت تسعى للموت فاذهب بعيدا عني.

الأول العاصفة مقبل، ستكون بحاجة إليّ..

الآخـــــر لا .. لا أظن.. انتهى الأمر.

الأول يمكنني أن أكون ذا فائدة، إن حدث أمر.

الآخـــــر خدماتك لا تغريني.

الأول الطريق موحشة ولا يقدم على ركوبها إلا من اضطر (يتأمله).

الآخـــر لكل إنسان شأنه.. فابتعد.

الأول سأقوم بتسليتك، أنا أحفظ العديد من النكات وإن كانت سمجة لكنها في كل الأحوال لا تدفع بك إلى البكاء.

الآخـــر ابتعد عني (يتطلع حوله) يا له من مكان بائس.

الأول (بهدوء) كل الأماكن بائسة.

الآخـــر (ينظر إليه) والعديد من الأشخاص أيضا.

الأول أتظن أنني واحد منهم (يضحك) لا عليك لقد عانيت طوال عمري من أشياء عديدة سيئة، في مقدمتها النحس الذي لازمني طوال السنوات. رغم أنني كنت الشموع كل ليلة لأبعد النحس لكن دون فائدة (يضحك) أنا نموذج حي لأولئك الذين يصارعون العمر، ثم في النهاية لا جديد يبدأ العمر وينتهي ونحن واقفون كأعمدة، لقد تخرج العديد من طلبتي وأصبحوا ذوي شأن حتى إن أحدهم غدا في غاية الأهمية، فذهبت إليه شاكيا وأخبرته أنني فصلت لم يقل شيئا إلا أنه نهض وقدم لي ورقة وقال: دون ما ترى. فكتبت بعض الأحلام، نعم، بعضها، وفي النهاية ماذا جرى؟ لم يحدث شيء، عدت إلى البيت وأشعلت الشموع طوال تلك الليلة عسى أن يأتي ما هو أحسن، وعند

الصباح حين سمعت طرقا على الباب ركضت وأنا أردد لابد أنها فرجت وانتهى التشرد، وما إن فتحت الباب حتى لطمت وجهي، فتراجعت دون أن أسأل، وحاولت الهرب لكنهم ألقوا القبض على واقتادوني كالشاة.

الآخـــــر (يضحك)

الأول ها أنت تضحك.. خذني معك إذن.

الآخـــــر (يتوقف عن الضحك).

الأول لا عليك.. واصل الضحك.

الآخـــــر والآن لننهي هذا الأمر، ماذا تريد؟

الأول تأخذني معك إلى المدينة.

الآخـــــر وما أدراك أني ذاهب إليها؟

الأول ليس في هذا الدرب غيرها، إنها هناك تجلس كالعجائز اللواتي ما إن تراهن جالسات حتى يتبادر إلى ذهنك أنهن ينتظرن أحدا وفي النهاية تكتشف أن هذا الشخص المنتظر ليس سوى وهم.

الآخـــــر مر كثيرون!

الأول نعم.. كثيرون.

الآخـــــر لم تذهب معهم؟

الأول هم ليسوا أنت..

الآخـــــر ماذا تعنى؟

الأول لا شيء.. لنقل إنني لم أكن أريد الذهاب، والآن بما أن العاصفة مقبلة وأنت مصر على ركوب الطريق في رحلة التحدي هذه فإنك توقظ في تلك الرغبة الدفينة للمقامرة.

الآخر أنا مضطر لذلك.. لابد أن أكون هناك غدا.

الأول هذا ما نخطط له.

الآخر ماذا تعني؟

الأول (يتهرب) ذات مرة أصبت بمرض نال من قواي فأحسست أني أقف عند هاوية اقتادني إليها من لا أعرفه بقوة جذب هائلة لكنه لما شعر أني مطبق على روحي بكل قواي كسر ذراعي، ثم تركني عند تلك الحافة واختفي فرجعت أزحف إلى فراشي وقبل أن أنهض.. أخبرني أحدهم أن صديقي الوحيد رحل إلى العالم الآخر. لقد رمى من على الحافة التي تركت عندها.

الآخر (يتطلع إليه بهدوء ثم يضحك) اصعد إلى السيارة.

الأول (يقفز بسرعة ويعلن) أنا فيها.

الآخر ألاماكن الخلفية ليست لك.

الأول نعم.. بالضبط.

الآخر والآن إلى أين؟

الأول إلى المكان الذي يتحتم علينا العودة إليه في نهاية تجوالنا المضني.. المقبرة.

الآخـــــر (بعصبية) لا داعي لذكر ما تفوهت به الآن.

الأول المقبر في منتصف طريقنا.

الآخـــــر ولماذا تسعى للذهاب إلى المقبرة في وقت كهذا

الأول لنفس السبب الذي يدفعك للذهاب إلى المدينة البائسة رغم أن العاصفة مقبلة.

الآخـــــر لن أتوقف في المقبرة.

الأول سأقفز ما أن تبطئ السير..

الآخـــــر لن أسير بمحاذاتها ولن أحيد عن الطريق لأجل ما تريد

الأول هل أنت خائف؟ المقبرة هي النهاية الحتمية للطرق كلها وليست روما كما يتوهم الأغبياء.

الآخـــــر لولا الأمر الذي يحتم على الذهاب. ما كنت قد ركبت الطريق مع مخبول.

الأول أهناك امرأة تنتظرك.

الآخـــــر هناك محكمة ستحكم غدا.. بميراث هو لي وهناك من يريد الاستحواذ عليه.

الأول فهمت.

الآخـــــر ماذا فهمت؟!

الأول (مع نفسه) العاصفة لا تعيق مسعى الذئاب.

الآخـــــر ماذا قلت؟

الأول العاصفة لا تخيف.. وسأكون معكك ولكن ماذا تنفع ملكية أرض بعيدة؟

الآخـــر ما أدراك أنها أرض؟

الأول أعرف المدينة جيدا ولا شيء فيها غير الأرض.

الآخـــر لم أرها منذ نصف قرن.

الأول وها أنت تطالب بحصتك من أرضها.

الآخـــر لا أحد يتنازل عن ملكيته.

الأول اسمع هذه القصة..

الآخـــر لا أرغب في سماع شيء.

الأول قصة رجل بقي عند الطريق ثلاثة أسابيع أو ربما ثلاث سنوات أو ثلاثة عقود.

الآخـــر أهي قصتك.

الأول بل قصة الطريق، ولكن قبل ذلك علينا أن ننطلق.

الآخـــر حسن.. ليكن.. (تسمع صوت المحرك).

(ظلام قصير)

(يبدو كما لو أنهم داخل سيارة مكشوفة تسير)

الأول من مدينتي البائسة.. رحل رجل ليشارك في حفل تتويج بطل رياضي في دولة ما ولما انتهى التتويج.

قال لهم صاحبنا: في مدينتي، ونسي أن يقول البائسة، بل اكتفى

بالقول في مدينتنا بطل الرياضة لهذا القرن وللقرون المقبلة هو.. ثم ذكر لهم اسما لم يسعوا به من قبل. فساد الصمت على الجميع. وتقدم أحدهم ليسأل أهو بطل العالم بلعبة ما؟

قال، لا، قال أحدهم. أهو لاعب مميز قال صاحبنا لا، ثم راح يسألونه وهو يجيب بلا وكلا، حتى ذكروا له كافة ألعاب الشعوب. عندها صرخ أحدهم ماذا كان تخصص لاعب القرون عندكم؟ نظر صاحبنا إليهم ثم قال بهدوء إنها بطل العالم بكل ما في الأرض من سوء.

الآخـــــر (يضحك)

الأول (يعلن) لننطلق إلى الأمام.. في بحر الطريق الذي لا رجعة منه.

الآخـــــر (يوقف السيارة) لماذا تقول ذلك؟

الأول لأن هناك طريقا آخر للعودة.

الآخـــــر (يضحك من جديد) أنت تتلاعب بالعبارات.

الأول (ينشد).

الدرب كالأفعى

التفت على خصر المدينة

فأوشكت أن تموت

الدرب فارغ وموحش.. ومجدب

يموت في أنفاقها

يولد من أنفاقها

فارغا وموحشا ومجدبا

لا حقل حوله ولا أثر

غير مقبرة

تلتف حولها أفعى كأنها طريق

تمتص روحها

وتترك البيوت

فارغة وموحشة

الآخـــــر أنت متشائم؟.. عجيب!

الأول وهل أنت متفائل؟.. عجيب!

الآخـــــر ولماذا أنت بهذا التشاؤم؟

الأول أنا متشائم لأن الطريق حتما يؤدي إلى المقبرة.

الآخـــــر (يتوقف ثم يستدير إليه بغضب) ترجل.

الأول لماذا؟

الآخـــــر هيا.. ترجل.

الأول لم أقل شيئا.

الآخـــــر لا تذكر المقبرة بعد الآن.. أفهمت

الأول أيخيفك ذكرها؟.. الطرق كلها تؤدي إلى..

الآخـــــر (يقاطعه) لا تكمل.

الأول لنطلق عليها اسما آخر.

الآخـــر من هي؟

الأول الـ..(يصمت)

الآخـــر من هي التي نسميها اسما آخر؟

الأول التي لا تريد أن أذكرها أمامك.

الآخـــر سمها ما شئت.

الأول لنسمها الجنان المعلقة.

الآخـــر نعم.. هذا اسم جميل.. يذكرك بالتاريخ.

الأول ويذكرك بكل الذين دخلوا الجنان وما خرجوا.

الآخـــر أتعني أنهم دخلوا القبور.

الأول لا.. لا.. أقصد الجنان فحسب.. ألا نواصل الطريق؟

الآخـــر لماذا تنظر إلى العداد؟

الأول لا يزال عندك من الوقود ما يكفي للعودة.

الآخـــر سأواصل الطريق.

الأول هذا هو القرار الصائب وستجتاز الجنان.. تلك التي تدخلها محمولا ثم يحفرون لك مكان توضع فيه بهدوء و.. (يصمت ما إن يكتشف أن الآخر غاضب).

الآخـــر (يتوقف) لا فائدة منك.

الأول حين تمطر السماء دخانا وبارودا.. تكثر الحفر في الجنان

المعلقة.. تكثرر بشكل جنونى.

الآخـــــر والعصافير.

الأول ماذا تفعل العصافير هناك.. لالا.

الآخـــــر قتل العصافير. (بعناد)

الأول ليكن. فنحن نغير الأسماء

الآخـــــر (بنشوة) هكذا أفضل.

الأول إلا أن حقيقتها لن تتغير، فما زال كل شيء كما هو والمقبرة أمامنا. (ينتبه فيصحح ما قال) أقصد الجنان المعلقة. (يقي الآخر ينظر إليه بعصبية).

الآخـــــر ما كان للبعض أن يولد.

الأول أنا رفضت المجيء.. وكثيرون مثلي، ولهذا فنحن نصرخ، ألم تصرخ أنت؟

الآخـــــر صرخت حين تعبت من الانتظار في ذلك الكهف فأنا لا أحتمل الانتظار. ولهذا تركت الدراسة والمدينة الصغيرة. ثم هربت إلى ما ينبغي أن أكون، وبسرعة.

الأول وكيف وصلت؟

الآخـــــر بقدراتي.

الأول لابد أنها متميزة.

الآخـــــر لقد تحررت من كل شيء.

الأول طالما حاولت التحرر من عواطفي لكني فشلت حتى صار حزني هو صورتي الوحيدة. هل أنت عاقل؟؟

(ينظر إليه) هل أنت عاقل؟؟

الآخـــــر (بثقة) نعم.

الأول كان عليك أن تعرف أننا ذاهبان إلى المقبرة، والعاصفة مقبلة ها هي تلوح بالأفق.

الآخـــــر أن غريب الأطوار.

الأول أنا رجل خسر الحياة.

الآخـــــر لماذا لم تعشها؟

الأول لأنني لم أستطع، فطوال عمري كنت أدور بعيدا، ولم أكن في قلب الحياة يوما.. كنت دائما وطوال عمري، وفي كل المراحل أدور كحصان الناعور، وكعامل وضعوا على ظهره حجر بابل كله. يذهب ثم يعود، ثم يذهب دون أن يشعر به أحد.. لقد خسرت كل الأحلا.

الآخـــــر كنت تحلم؟

الأول (يصمت) أتظن أن هناك من يحيا بلا حلم؟

الآخـــــر لا يبدو عليك ذلك.

الأول يا لقسوة هذه الكلمة.. أتعرف أنني (يصمت)

الآخـــــر ماذا؟

الأول كانت لمي من الـ..من الـ.. (يصمت)

الآخـــــر ماذا؟ أكمل.

الأول لا.. لا يهـم.. لا.. ومـع ذلـك فقـد بقـي لـي الحلـم الأخيـر وستـضحك إن اطلعـت عليـه وربمـا ستـصاب بالدهـشة (يعلـن) حلمي الأخير هو أن أكون إلى جانبك وأن نسلك هذا الطريق. وأن تسألني هذا السؤال لتوقد الجمر الذي في قلبي (يصرخ) الإنسان والحلم رديفان، أتظن أن هناك من يحيا بلا حلم؟

الآخـــــر أنت واحد منهم.

الأول لقد ذبحت أحلامي كما تذبح القرابين في التجربة الدمية التي عشتها. تلك هي النتيجة التي آلت إليها، فقد انتزع الآخرون مني كل شيء، حتى أن روحي ساعة الغروب المحزونة تنفصل عن جسدي، فأراه ممدا كمركب صغير لم يعد صالحا إلا لتحتله العناكب وأرها غيما أبيض تمزقه رياح عاتية (يصرخ) لقد أغلق الآخرون كل الطرق. وسحقتني العجلات جسدا وروحا وأحلاما، ولم يعد لي إلا حلم واحد، غزيرة واحدة، لن أتنازل عنها وأنا أمسك بها الآن.

الآخـــــر ما هي؟

(ينظر إليه.. فيوقف السيارة) ماذا تريد أن تقول؟

وجودك معي هو تلك الغريزة الوحيدة التي لا تريد التنازل عنها؟

(صمت) أهي حلمك الوحيد؟

(صمت) لماذا قلت ذلك؟ (صمت) تكلم.. أجبني، أتراني أخطأت لأنني حملتك من على الرصيف؟ ماذا تريد؟ تكلم.

الأول (يردد) العودة غدت مستحيلة

الآخر ماذا تعني؟

الأول والعاصفة مقبلة.

الآخر ماذا تريد أن تقول..؟

الأول إننا نعيش في حلمى.. وفي غريزتي.

الآخر لم أفهم.

الأول كل ما حدث منذ التقينا.. كان مدبرا.. هو حلمى.

الآخر سأتركك وأواصل الطريق.

الأول لم تعد هناك مدينة ليكون لك ميراث فيها، لم يعد هناك شيء

الآخر أنت تكذب.

الأول لقد تحولت المدينة إلى مقبرة..إنها تحتضر والبيوت المتعبة فرغ من ساكنيها، لقد ارتدت السواد، وهذا كل ما رأيته حين عادوا وجلست أصغي لبكاء البيت (يصرخ) ما عاد هناك أحد، لقد وجدت بين الأنقاض مذياعا قديما، ميتا، حركته بقدمي فعاد ينشد أغاني الموت (يصرخ) يا إلهي لقد سرقوا الحياة التي منحتها لنا، سرقها قطاع الطرق، مدو أيديهم بكل وقاحة وأخذوا

نعمتك منا، أخذوا سر حياتنا، سحرها، ولم يتركوها حتى عصرت مئات المرات ويبست ولم يبق لنا غير الجدب، هكذا مات الأحلام، بعثرتها الرياح في الشوارع المتربة مع بقايا أوراق الأشجار وأوراق الكتب الصفراء وأوراق كانت تدل علين، ولهذا لم يبق لي إلا حلم واحد هو أن أراك (يواجه الآخر) وأكون معك.. هنا.. على هذا الطريق.

الآخـــــر لقد أخبروني في الرسالة أن كل شيء عاد إلى وضعه الطبيعي.

الأول حين تسرق الحياة لا يعود هناك أمر طبيعي.

الآخـــــر هذا ما تؤكده الرسالة.

الأول العاصفة حلت.

الآخـــــر ماذا نفعل؟

الأول عليك أن تواصل وإلا طمرت هنا.. هيا تحرك بسرعة وبأقص ما تستطيع .. لا تبقى في منتصف الطريق. هيا أسرع.. تحرك.. قلت لك تحرك.. أسرع.. أسرع..

الآخـــــر أتقاتل من أجل الوصول إلى المقبرة.

الأول طوال حياتي لم أحصل على الفرصة الكاملة لأنجز شيئا حتى نهايته. كنت أنت أمامي على الدوام، لقد حاولت وتسللت خارج درب القدر الذي كنت تعمل على تعبيده بدقة متناهية، فأفشلت كل محاولاتي، ولم يقل لي إلا آخر أمنية.

الآخـــــر أتريد البقاء في المقبرة؟

الأول سأحفر قبرا.

الآخـــــر أنا أكره المقبرة ولكن لا تظن أنني أخاف منك فما أنت إلا رجل غريب الأطوار كما قلت لك.

الأول وأنت بطيء الفهم. (يهم بالتوقف) لا تتوقف. هيا تحرك علينا المواصلة حتى النهاية.

(أصوات رعد ورياح قوية)

الآخـــــر الذهاب إلى النهاية يعني إفراغ الكأس.

الأول أعدها إلى إن استطعت، أعد الكأس التي تتحدث عنها وبما فيها

الآخـــــر ماذا تعني؟

الأول أنا أيضا لا أعرف ماذا تعني.

الآخـــــر أتراك تتهمني بشيء؟

الأول معاذ الله.

الآخـــــر قل.. أتتهمني؟

الأول ما شاء الله.

الآخـــــر أنا متهم لأني انتشلتك؟

الأول أعوذ بالله.

الآخـــــر لا تبق تردد ذلك.. هيا أخرج من هذه الخيمة وعد كما كنت قبل قليل.

الأول تجاوزنا منتصف الطريق. (صوت رعد)

الآخـــر أنت تتابع كل شيء بدقة.

الأول لم تعد العودة ممكنة.. والوقود لا يكفي للعودة.. ولا خيار لنا سوى المواجهة.. (صوت الرعد يشتد) لقد مرت كل العواصف فوق رأسي ومع ذلك نجوت، هيا تحرك..

الآخـــر لا تمل عليّ الأوامر (أصوات رعد)

الأول نحن في منحدر وعلينا أن نتجاوز ذلك. هيا (ظلام تدريجي).

(هنا ينبغي أن تلعب كل وسائل العرض المسرحي دورها لتنفيذ ذلك بدقة).

الآخـــر ما هذا الظلام؟

الأول إنها البداية.. تحرك. إلى الأمام.. إلى الأمام.

الآخـــر لم أعد أرى شيئا.. فكيف تريدني أن أتحرك.. وإلى أي اتجاه.

الأول في العاصفة ليس مهما الاتجاه، بل المهم أن تتحرك.

الآخـــر أنا لا أرى.

الأول فكيف بقيت أنا سبعة عشر يوما معصوب العينين. حتى ظننت أنني لن أبصر مرة أخرى..

الآخـــر أنا لا أرى الطريق.

الأول وأنا كنت أراه وكان ذلك بداية المصيبة.

الآخـــــر العاصفة تدفعنا بعيدا عن الطريق.

الأول لتفعل.. عليك بالمواصلة.. لا تتوقف .. هيا.

الآخـــــر أنا لا أرى.

الأول كنت دائما لا ترى.

الآخـــــر ماذا قلت؟

الأول لا تتوقف.

الآخـــــر أشعر أن جيشا يدفع بي إلى الخلف.

الأول هكذا كان الأمر.. وكان هناك خمسون رجلا.. أو ربما خمسمائة أو خمسون ألفا.. قوة هائلة تدفع بي إلى الخلف كهذه العاصفة.. حتى وجدت نفسي وحيدا يحرسني مائة رجل بل أكثر، وكانوا على استعداد لسلخ فروة رأسي.

الآخـــــر كان عليك أن تهرب.

الأول أتظن الأمر بهذه السهولة.

الآخـــــر ماذا فعلت إذن؟

الأول بقيت صامتا، قابعا، منتظرا أن يفتح أحدهم الباب ليرمي بي خارج القلعة.

الآخـــــر وهل كان المكان مخيفا.

الأول أنت أول بأن تصفه وتعرف إن كان مخيفا أم لا. ألسلت المصمم.

الآخـــــر أنا لا أعرفه.

الأول بل تعرفه.. القلعة.. القلعة.

الآخـــــر القلاع كثيرة.. فلا تبق تردد بغباء.. (القلع).

الأول تلك التي كان يحيط بها مائة رجل.. تلك التي نصبت في العراء حتى يخيل إليك وأنت قابع فيها كأنك في مكان ما خارج الأرض.. ساحة كبيرة تحيض بها غرف صغيرة، تضيق أكثر.. كلما فاضت الروح بالحنين إلى الحياة أو هاجمك الخوف. أكانت معسكرا من قبل؟

الآخـــــر لم أفهم؟

الأول ربما هنالك العديد من القلاع.. لقد قاموا بترتيب كل شيء. كما لو أنه مسلخ للذبح الآدمى.

الآخـــــر لم أكن هناك لأعرف.

الأول كنت تدرو بين القلاع إذن.

الآخـــــر ماذا تريد بالضبط؟

الأول لقد مر زمن طويل عليّ ذلك، حتى نسيت بعض التفاصيل وكل ما أتذكره أني كنت أنظر من النافذة وكان المكان أشبه بمعسكر مهجور..

الآخـــــر أنت تهذي.

الأول لقد جاءوا بها مكبلة.

الآخـــــر كف عن هذيانك.

الأول لم تكن تعرف بالمصير الذي ينتظرها، حاولت أن أصرخ علها تسمع صوتي فصرخت.. صرخت..توقفت واستدارت إلا أنهم سرعان ما أغلقوا فمي.. لم ترنى. لكني شعرت بمقدار الخول الذي ملأ صدرها، كانوا في تلك الليلة قد عرضوا على المساومة ولم أصدق أنهم سيفعلون ذلك فعلا ويأتون بزوجتي.

الآخـــــر ماذا كانوا يريدون من رجل مثلك؟

الأول أنت أدرى. (صوت رعد)

الآخـــــر العاصفة أمامنا. (صوت رعد)

الأول هذه عاصفة خجولة أن قورنت بما في صدري.

الآخـــــر أنا لا أسمعك.

الأول ماذا كان لدى الرجل البسيط الذي طاردته فرقة. كاملة ثم أطلقت عليه خمسمائة رصاصة بوقت واحد، هكذا كان الأمر، (خمسمائة) رصاصة لقتل رجل واحد لم يجدوه، أقاموا السدود في المدينة حتى غدت كأنها بحيرة. لقد أحاطوا بالمنطقة.. وتمدد البعض على بعد مسافة وما إن ظهر الرجل معتليا حماره حتى انهمر عليه الرصاص فتمزق جسده، ساعتها وجدت نفسي أصرخ، يا إلهي الرحمة.. الرحمة.

الآخـــــر أنت الذي فعل تلك الفعلة الشنيعة؟.

الأول نعم.

الآخـــر يـا لـك مـن غبـي لقـد بقـي الجميـع سـبعة أشـهر يبحثـون عنـك ويقـدمون الأعـذار، ويطـردون الواحـد تلـو الآخـر حتـى.. حتـى (يصمت)

الأول حتى جاءوا بك لتنهي الأمر.

الآخـــر كنت مرغما على ذلك.

الأول كان بإمكانك أن ترفض.

الآخـــر الرفض يعني الموت.

الأول لماذا أمسكت بزوجتى؟

الآخـــر جاء بها آخرون.. وقالوا.. سيسلم نفسه طوعا.

الأول حـين سـلمت نفـسي وعـدوني أنهـا سـتغادر القلعـة دون أذي وأقـسموا على ذلـك، وبالمقابـل وعـدتهم بفعـل مـا يريـدون، ومـا يـأمرون لأننـي لا أرضـي أن يـدفع الآخـرون ثمـن فعلتـي فكيـف أرضـى أن تقـع الطامـة الكبـرى علـى مـن أحـب. غيـر أنهـم لـم يـصدقوا كعـادتهم.. ومـع الفجـر اقتحمـوا زنزانتـي وقيـدوني إلـى قطبـان النافـذة لأرى مـا سـيحدث فـي سـاحة تلـك القلعـة.. انتظرت، ولم يحدث شيئا إلا أنني كنت أعرف أنهم يدبرون أمرا مـا، أدركـت تفاصـيل حـين اقتـادوا المـسكينة مـن إحـدى الزوايـا وهي معصوبة العينين يسحبها أحدهم إلى مكان الذبح، فأدركت

مقدار الهلع الذي كانت تشعر به، فطالما مررت بهذه التجربة وأعرف كم يشعر الإنسان بالمهانة حين يكون بمثل ذلك الوضع، لقد اقتادوها إلى وسط فناء القلعة (يصرخ) ليت الأرض لم تر ذلك النهار ليته اقتطع من الزمن، ليت عاصفة جاءت على الأرض بما فيها قبل أن يحدث ما حدث في ذلك الفجر.. وفي ذلك الفناء الموحش حين جاءوا بزوجتى.. كان هنالك كثيرون يحيطون بالقلعة وربطت إلى عمود وسط الفناء وظلت مرمية هناك، الزمن يمشي دقيقة وأخرى ثم ساعة.. يا إلهى.

الآخـــر (مستمرا في مواجهة العاصفة) العاصفة ستطيح بنا.

الأول يا إلهي من يوقف الحريق الذي في صدري.

الآخـــر لا قدرة لي على السيطرة.

الأول لا تهرب.

الآخـــر سننزلق إلى الوادي، وستكون النهاية.

الأول إنها المقبرة. ها قد وصلنا.

الآخـــر ماذا تقول؟

الأول بعد تلك الساعة المدمرة في القلعة.. ظهر أحدهم. وتقدم بمفرده، وكنت أنظر إليه وأردد، ليت زلزالا يسحق القلعة بم فيها ويحيلها إلى رماد، قبل أن تحدث الكارثة، إلا أن الأماني التي قالها البشر على مر العصور لم تكن كافية لإيقاف ذلك

العنكبوت الذي كان يسير مغتالا، متغطرسا، مقبلا (يصرخ) ليتني كنت قادرا على الصراخ لأسمعها صوتي علها تطمئن.

الآخـــر العاصفة تشتد.. الرحمة.

الأول هـذه هـي الكلمـة التـي كانـت تخـرج مـن مـسامات جـسدي المرتعش.. الرحمة.. الرحمة.

الآخـــر العاصفة.

الأول تقدم العنكبوت حتى وصل إليها.

الآخـــر أنا أفقد السيطرة تمام.

الأول أمسك بيدها.

الآخـــر الرحمة.

الأول هذه صرختها.. أسمعها الآن.. الرحمة.. الرحمة.

الآخـــر العاصفة.

الأول لم لم تصغ في الوقت الذي كانت تصرخ به الرحمة؟

الآخـــر الرحمة.

الأول لقد افترسها يا إلهى. افترسها.

الظلام يطبق والصراخ يتواصل كما لو أن السيارة قد انقلبت إلى الوادى)

(ظلام)

## اللوحة الثانية

هدأت العاصفة، بقايا القلعة التي تحولت ذات يوم إلى معسكر ثم استخدمت كمكان للقمع ثم تحولت إلى مقبر تحمل آثار هذا الخليط الغريب من التاريخ الدموي رغم أنها بقيت مهملة لسنوات فغطاه التراب، هناك شواهد في الفضاء الافتراضي المسرحي تدل على العاضفة تركت آثارها.

نسمع أصوات الأول والآخر قبل أن نراهما.

الأول يا لها من.. يا لها من.. ما هذا الذي حدث؟

الآخر لقد افترستنا العاصفة.. كيف حدث هذا (يظهر الأول ثم يظهر الآخر.. كلاهما يحمل آثار ما حدث).

الآخر لماذا تنظر إلى بهذه الطريقة؟

الأول لقد مات المسكينة بعد فعلتك الشنيعة وأنا فجعة وعلي مر السنوات حاولت العودة إلى الحياة ففشلت طرقت أبواب المدن دون جدوى ودون رغبة حقيقة في الحياة لأنهم أدموا قلبى..

الآخـــــر (صمت)

الأول إذا سرق أحدهم منك شيئا.. تتركه؟

الآخـــــر (صمت)

الأول وإن سرق حياة من تحب بد أن دنسها.

الآخـــــر الحياة لا تسرق.

الأول لكنها تمزق. (يصرخ) تحرق.. نعم.. الأيام والسنوات والأعمار، كلها تحرق، ولهذا لم يبق إلا أمل أن ألقاك.

الآخـــــر أتعني أن الأمر كله مدبر؟

الأول لقد انتظرتك، صمت ثلاثة أيام، حين كانت الرسالة في طريقها إليك، وحين طرقت باب مكتبك كنت أصلي عسى أن تستجيب، وحين نهضت لتطالب بما جاء بالرسالة أدركت أن الملائكة وبفعل الرحمة تتعارض مع القدر وتمنحني الفرصة التي لم أصدق أنها ستمنح لي.

الآخـــــر لا تحاول خداعي وتدعي أن الرسالة كانت من صنعك.

الأول (صمت)

الآخـــــر (يصرخ) أتعني أن الرسالة وهم.

الأول الحياة تدفع لنا أحيان بأسباب حقيقية علينا استغلالها.

الآخـــــر هل كانت حقيقة أم لا؟

الأول نعم.

الآخـــــر والمحكمة؟ وميراث الأرض.

الأول أتريد أن ترث القبور.

الآخـــــر المدينة هناك، لا المقبرة.

الأول لم يعد هناك سوى الخراب.

الآخـــــر والرسالة؟

الأول كانت تحمل خبر وفاة المراة التي أنجبتك.. أليس كذلك؟

الآخـــــر نعم.

الأول لقد انتحرت.

الآخـــــر (صمت)

الأول (يصرخ به) أقول لك انتحرت.

الآخـــــر (ينظر إليه ببرود) على كل حال.. كانت ترفض مقابلتي طوال السنوات التي مرت، رغم أنني حاولت التقرب إليها لكنها رفضت وهذا ما ظلت تفعله على الدوام، لا خيار لنا لا خيار. كانت تصفني بالخنزير. هل أنا كذلك، هل رائحتي؟ تكلم، أهناك ما يوحي أنني (يصمت) الأيام لا تمحي آثارها.. ليتنا خلقنا قادرون على ذلك

الأول التاريخ.. ليس وهما.

الآخـــــر إذا كنا نريد الاستغناء عنه (يصرخ) هذا ما ينبغي أن يكون بمقدورنا، نعم، نعم (بهدوء) بقيت هناك حتى ماتت.

الأول عاشت مفجوعة بك.. ثم إنها لم تكن في الفترة الأخيرة هناك

الآخـــر أعرف أنها لم تغادر المدينة اليائسة فلا تكذب.

الأول لم تكن هناك.

الآخـــر أين كانت إذن؟

الأول هنا.

الآخـــر في المقبرة؟

الأول جاءت إلى هنا. وبقيت.. كانت تكره حياتها بسببك وقالوا إنها فقدت عقلها.

الآخـــر أتظن أنني أصدقك (برفض مستميت) لا.. لا..لا.. لن أصدق ما تقول.. فلا تحاول خداعي.. لا تدفع بي إلى الجنون.. هيا انهض لنبحث عن طريق لنعود.

الأول هذا الدرب لم يعد يسلكه أحد.. لا أحد هناك..

الآخـــر لست مجنونا لأصدق.

الأول أنا لا أكذب، فلا توهم نفسك.

الآخـــر أتريد أن أصدق ما ذكرته أيها المختل.

الأول قبرها واحد من الشواهد.

الآخـــر لن أصدق.. لا..لا.. لن أصدق.

الأول قبرها هناك. (ينظر الآخر جهة القبر) أنت تعرفها.

الآخـــر الكل هنا متساوون.. ليس غير صخرة توضع عند الرأس.

الأول رغم أنها تقدمت في العمر إلا أنها كانت تشبه زهرة قفص الزجاج.

الآخر (بضعف شديد) أعرف ذلك.. وهذا ما يجعلني واثقا أنها ما جاءت إلى هنا.

الأول هذا قبرها.

الآخر (يصمت)

الأول وهذا اسمها.. حفرته بيدي على هذه الصخرة.

الآخر أنت تكذب.. والأسماء شاهد زور، ويمكنني الآن تدوين آلاف الأسماء على مختلف الشواهد.

الأول (بهدوء لا يخلو من قسوة) هذا مكانتها.

الآخر (يصرخ) لن توهمني.. ولن أفقد اتزانى. وسترى، سأثبت لك، أن ما تدعيه أمر محال (يحفر القبر بيديه).

الأول لا يمكن لعاقل أن يقوم بما تفعله الآن.

(يصرخ به) أيعقل أن تكون إنسانا؟

الآخر حين أمشي يحيط بي الأتباع، الآخرون يؤكدون وجودك، الآخرون يؤكدون أنك حقيقة ولست حلما يراود متشرد (يكاد ينفجر باكيا وهو يحفر القبر بيديه) الحجر، الحجر يا لقسوته.

الاول أنت أقسى منه.

الآخر لا تتخيل القصص ثم تجلس عليها، عليك أن تعتاد أتفهم ما

أعني؟ الأيام تبلى كالثياب. وكلما صحونا بعد غفوة موت قصيرة نرتدي يوما جديدا من تلك المعاطف المهتزلة التي ارتداها قبلنا ملايين من البشر، ولهذا علينا أن نستعد كي لا نكون المغلوبين هذا الأمر هو ما يستحق التفكير وما سواه هباء.

الأول لا يبرر ذلك وحشيتك.

الآخـــــر أنا لا أثق إلا بي.. وبما أراه.. وأمسك به.

(يصرخ فجأة وهو ينظر إلى داخل الحفرة التي أحدثها في القبر.. كأنه قد تعرف على جسد أمه).

الأول أرأيت؟ (يصرخ به) أترى؟ لماذا أنجبتك هذه المرأة؟ انظر. لقد بليت الأجساد ولم تبل الكراهية، لم تبل الجرائم التي اقترفتها، كنت أتساءل.. لماذا انزوت هذه المراة في هذا المكان الموحش؟.. حتى اكتشفت أنها كانت تأتي طلب المغفرة ولتطهر روحها من ذنوب اقترفتها من حملته في أحشائها.. وكانت تبكي طوال الوقت وهي تدور بين ضحاياك.. هنا.. هنا كانت تنجلس. ثم تتحدث إلى هذا وتبكي .. وذاك.. وذاك وتلك حتى توفيت. هنا . نعم. هنا وجدت جثتها عند قبر المرأة التي افترستها في القلعة (يصرخ) زوجتى.

الآخـــــر ماذا تريد (يدور خائفا)؟

الأول لن تجد من يواريك التراب.. فأغلب أصحاب هذه القبور من

ضحايا القلعة، قتلتهم بطرق منختلفة، أما هي (يشير إلى قبر زوجته) فقد.. (يعجز عن مواصلة الكلام) لماذا فعلت ذلك؟ لماذا افترستها؟ (يندفع الأول إلى قبر آخر) أتعرف صاحب هذا القبر؟ لا.. من المؤكد أنك لا تعرف من قتلتهم.. وهذا؟ وذاك الذي ما وجدوا إلا بعض أطرافه؟ وهؤلاء الأربعة وجدوا في زاوية من القلعة.. أتتذكرهم؟ لا.. لا.. أنت لا تتذكر ضحاياك (يشير إلى قبور أخرى) وهؤلاء.. وهؤلاء. هنا ترقد أجساد من قمت باغتيالهم ليكونوا سكان القلعة الذين لا خيار لهم لقد استسلمت أجسادهم وترامت كأشرعة مزقتها عاصفة.

(تتغير أشكال الرؤيا)

كل جزيرة من هذه الجزر .. أنت أحرقتها. أتيت على ما بها من حياة، فحولت إلى قبر. يال ك من آثم.

(صمت يدور الآخر وهو يصغى)

الآخـــــر أتسمع صوتا؟

يبدو أن أحدهم لا يزال يئن وهو في القبر.

الأول جراحنا التي رافقتنا ونحن فوق الأرض تمضي معنا إلى الحفر المعتمة، بعد أن نكون قد فشلنا في معالجتها غير أن البعض يرحل إلى العالم الآخر، ولم تزل جراحه متورمة ودماؤه ساخنة وآثار التعذيب حفرا مفتوحة يملؤها التراب.

الآخـــــر لكنهم أموات.

الأول بل قتلى.. (أصوات طبول) أتسمع الطبول؟

الآخـــــر نعم.. أتظن أنها دعوتي؟

الأول تشبث بالعقل.

الآخـــــر إذا كان العالم مجنونا فمن يهتم.

الأول كان الحياة ممكنة. إلا أنكم .. أنتم.. أنتم.

(يرقص بعد أن يتلفظ سيفا من خلف أحد القبور)

الآخـــــر أتريد قتلي؟ ليست العبرة في حمل السيف.. بل في العدل.

الأول هل فكرت بهذا الأمر؟

الآخـــــر ليتني فعلت.

الأول لو كنت قد فعلت ما كانت النتائج على هذا الحال.

الآخـــــر ليتني فعلت.

الأول لو كنت قد فعلت لكانت القبور أقل عددا.

الآخـــــر ليتني فعلت، والآن.. هيا أنه الأمر بسرعة. ولكن قبل أن تفعل عليك أن تدرك أني قد ندمت بالفعل.. وإن تركتني حيا فربما استطعت مساعدتك أو مساعدتهم.. أو مساعدة آخرين فليس الشيطان من كان يدفع بنا لارتكاب الآثام التي لا تغتفر، إنما هناك من يفعل وعلينا إيقافه، سأسعى لإنقاذ الكثيرين إن تركتني حيا أرجوك.. لا تفعل.

(الأول يسعد لضربه فيصرخ) لا أريد أن أرى رأسي يتدحرج كالكرة.

(يغمض عينيه وكأن الأول سيطيح برأسه.. ثم حين يفتح عينيه تدريجيا يكتشف أن الأول قد اختفى تاركا السيف) أتراه فعل فعلته؟ (يتحسس رأسه) أم تراها مجرد لعبة؟ وهم أحياء اتفقوا على النيل مني، بعد أن يدفعوا بي إلى الـ.. (يسرع لالتقاط السيف) لن يكون الأمر سهلا (يصرخ) اين أنت؟ أين أنت؟ ربما اندس مع أحدهم في هذه ال.. نعم.. نعم.. (يتلفت) من الممكن أن يفعل ذلك فهم على اتفاق مسبق للإيقاع بي، إذن فهم أحياء. نعم وربما سيقفزون الساعة من أماكنهم لينالو مني، ولكني سأقطع حبال المؤامرة، ولن تطبق على أو تنال مني هذه الدمامل المنتفخة من الأرض (يطعن أحد القبور) هكذا نعم هكذا.. (يستمر في طعن القبور) وأنت الآخر (يطعنه) وأنت وأنت وأنت.. ابقوا في أماكنكم، موتى، هكاذا هو الأمر.. أنت أيضا (يطعن) وأنت وأنت وأنت (يهذي) أتقتلهم يا مولاي (يقلد صوتا آخر) كم عددهم؟ سبعمائة رجل. (يجيب) اقطعوا رؤوس هؤلاء.

وارموا على أولئك بعض غازات سامة، وهناك ألف اخسفوا بهم الأرض، وهناك يا سيدى؟ أطلقوا عليهم كلابي وهؤلاء أغرقوهم

في أحواض الأسيد حتى تذوب أجسادهم، ثم انثروها في حديقتي. هكذا هي الإرادة، ونحن لا نحيا بدونها. أستحق شارة يا مولاي على هذا الإنجاز (يشير إلى بقايا القبور) أنهيت الأمر بنفسي، بل حتى هذه التي كانت (يتوقف عند قبر أمه) من يثق بالأموات؟ (يطعن القبر) أتمنى أن يكون الوسام على قدر الجهد.

(يقف بثبات.. يدخل الأول حاملا حجرا ثقيلا تم تحويله إلى ما يشبه الميدالية.. يعلقه في رقبة الآخر فيتدلى رأسه مرغما، لثقل الوسام ويترك السيف).

الأول هذا أقل ما يمكن تقديمه مقابل فعلتك الشنيعة.. هو لك مقابل الحياة التي سرقتها عنوة من هذا وهذا. وهذا وهؤلاء.. وأولئك.. وهذه وهؤلاء.. وهذا. وهذا. وهذا وهذه وزوجتي كل هؤلاء أنت عصفت بحياتهم الواحد تلو الآخر بل حتى الرجل العجوز الذي قتلتموه ساعة الفجر وهو على ظهر حماره بعد أن أطلقتم عليه (خمسمائة) رصاصة لرجل واحد.

الآخر كنت معهم.

الأول ولم أطلق.

الآخر ولهذا خسرنا المكافأة، فلو كانت بالفعل (خمسمائة) طلقة لكان الأمر قد انتهى دون خيانة.

الأول طلقة واحدة تعتبر خيانة؟ طلقة واحدة لم أطلقها جعلتني مطاردا.. منبوذا.. مفجعا.

(يدور حوله)

الآخر لم يكن أمامك خيار إلا أن تلوذ بسمائك الأزلية بعد أن تنسحب تاركا الأرض.

الأول والآن (يلوح بالسيف)

الآخر لا خيار لك.. كتبت عليك الهزيمة.

الأول والإرادة التي تحدثت عنها.

الآخر عجلة مهولة تسحقنا في الوقت الذي نسعى لامتلاكها.

الأول سأنهي الأمر إذن (يشهر السيف).

الآخر أنت لا تستطيع فعل ذلك (صمت) لا يمكنك النيل مني بهذه السهولة.

الأول أنت أمامى.

الآخر حواسك تخدعك.

الأول هذا هو أنت.. والمسافة التي بيني وبينك.. لا تتعدى الخطوات.

الآخر بل هي مسافة شاسعة.. فما بيننا ليس المكان فحسب.

الأول خطوة واحدة وينتهي الأمر.

الآخر لن تختصر التاريخ بهذه الخطوة.

الأول هذا الذي أنت صنعته.. التاريخ لا يملكه أحد. أتفهم؟ لا أحد. فآلاف الكتب التي دونت كما تريد كانت بيضاء نقية قبل أن تتقيأ فوقها انتصاراتك.

الآخـــــر كل يتحمل مسؤولية وجوده.

الأول والذين لا خيار لهم؟

الآخـــــر لا وجود لهؤلاء.

الأول هم كثيرون.. أحياء وأموات. بل أحياء أموات قد عاشوا على هامش الدنيا.. أو حوصروا في السراديب المظلمة. وعندما يغفو أحدهم يفتح فمه فتدرك مقدار الألم الذي يعاني وحين يصحو صباحا يبقى يردد.. كسبنا يوما آخر. أنظر حولك. هل سيكون بمقدورك إعادة الحياة إليهم؟

الآخـــــر لا يولد النور من الظلمة.. بل يقتلها نحن كذلك، أفهمت منذ الأزل فرضت علينا تلك المعادلة ولهذا فالمسافة التي بيننا تبدأ من ساعة ولد الضوء (عند قبر أمه) ومع ذلك فللظلام طعم آخر وفي يرقد بعض من أحببناهم (مفجعا) يا لها من ثياب بالية تلك التي لبسناها لنواجه سهام القدر.

الأول لا تلبس القدر معطف الجريمة وما اقترفته يداك بتلك القلعة الشنيعة.

الآخـــــر لا تحملني مسؤولية القدر، ومسؤولية من لا قدرة لي على رد

أوامرهم، أتفهم؟ والآن.. هيا.. دعنا نبحث عن وسيلة لنغادر هذا المكان

الأول أنت تخدعني كعادتك.

الآخـــر لابد أن نغادر هذه المقبرة.

الأول وهؤلاء.. لقد وعدتهم بأن أجيء بك.

الآخـــر لن ينهض أحد من قبره ليقدم لك الشكر.. ولن يولدوا من القبور.. أتفهم.. لم يعد هنا غير التراب (عند قبر أمه) وهذا يشمل الجميع.. لم يعد هناك غير التراب.

الأول (عند قبر زوجته) أيعقل أن يكون هذا المكان فارغا. (يستدير إليه) أين ذهبت إذن؟ فبعد أن جاءوا بها ممزقة جلست أمامها ووعدتها. قلت لها: انتظري. قلت: اسمعي.. إن تشظت الأرض واستحال جمعها لابد أن أحضره.. هذا وعد.. ولم أرها بعد تلك الليلة.

الآخـــر ما أدراك أن هذا قبرها.

الأول اسأل المرأة التي هناك ( يشير إلى قبر أمه) لقد كان تعرف كل شيء.. فهي من بقيت تداوي جراحها.. حتى ماتت.. فدفنتها.. أما أنا.. فلم أعد.. لم أستطع العودة. (يدور) لم أعد.. لم أعد.. حتى بعد أن سمعت أنها ماتت، لم أعد. وحين عصف بالمدينة كلها ركضت ألملم بقايا البيوت.. فكانت هي هناك

(يشير إلى قبر الأم) وأخبرتني (يركض لقبر زوجته) هذا أنا.. لقد جئت به كما وعدت. أعرف أنني تأخرت ولكن.. هاهو أمامك.

(يصرخ به)

اجلس.. (يجلس الآخر) انظري كيف سأطيح رأسه.

انظري كيف سأمزقه.

ولكن يا إلهي، أيعقل أن تكون حياة كل هؤلاء مقابل حياته

(يصرخ)

أغمض عينيك... لا.. لا.. افتحهما لترى كيف سأنهي الأمر كما كنت تفعل عادة مع ضحاياك.

الآخـــــر ليس من العدل أن تقتلني.

الأول (يضحك) لو كنت تعرف العدل لكان كل هؤلاء الموتى أحياء.. كلهم.

الآخـــــر لقد انته الأمر.. فلا تحاسبني على أمر قد انتهى.

الأول أنت تريد ذلك.

الآخـــــر لقد ماتوا.

الأول قتلوا.

الآخـــــر ما الفرق؟

الأول الفرق أن هناك روحا سال دمها، سرقت اغتيلت، سحقت

الآخـــــر هم تحت التراب.. فلم لا نسوي الأمر بيننا ونحن فوقه..

الأول الآن تكون مثلهم.

(يهجم عليه ثم حين يطعنها يكتشف أن السيف قد تحول إلى سيف من ورق.. فيدور وهو يردد)

ياللفاجعة. يا للفاجعة.

كنت أتمنى أن لا تنطفىء هذه الشمعة . لكنها انطفأت.. لكم أشعر بالخيبة.

(يتحرك كان في المقدمة ثم حين يستديران ندرك أنهما في مكان يشبه المصحة العقلية أنهما الساعة مذهولان.. خائفان. وقد مر عليهما زمن طويل)

الآخـــر (بوجع حقيقى) أتظن أنني فعلت كل هذا.

الأول (بحزن عميق) نعم.

الآخـــر لا أظن (يردد) الصفات الأصلية.. الصفات الأصلية.

الأول لم تبق على الصفات.. لم تبق على شيء.

الآخـــر يا لها من قصة (يردد).

الأول نحن أبطال التجربة الخاسرة (يردد).

الآخـــر لقد انتصرت.. أخذت بي إلى المقبرة. وقتلتني هناك..

الأول ولكنه وهم.

الآخـــر بل هو حقيقة.

الأول هذه هي الأمانى. أما الحقيقة فنحن هنا.. انظر إلى نفسك

لتعرف أين نحن.

الآخـــــر لو كنت قد قتلتني لكان الأمر أقل إيلاما ( يستدير إليه) أيعقل أنك دفعت بنفسك إلى مكان الجنون هذا لتعيد على الطعن؟

(يصمت)

الآخـــــر أيعقل أني فعلت كل هذا؟

الأول يا لها من نتائج خاسرة. (يردد)

الآخـــــر يا لها من نتائج خاسرة. (يردد)

(ينامان فوق ما كان يظنان أنها عربة ويسود ظلام تدريجي حزين)

النهاية

# فهرس


البحث عن عنوان.. يا لها من محنة ..... ٥

مقدمة بقلم عبد الستار ناصر ..... ٩

نساء بلا ملامح ..... ١٣

الهشيم ..... ٩٩

الحاجز ..... ١٣٣

القلعة ..... ١٦١